كلية الآداب

أثار ما قبل التاريخ

تأليف

ممدوح محمد الدماطي







آثار ما قبل التاريخ

أ.د. ممدوح محمد الدماطي

أستاذ الآثار المصرية القديمة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

الفهرس

مقدمة

آثار ما قبل التاريخ أحد فروع علم الآثار وهو يهتم بدراسة آثار الإنسان في فترة طويلة تمتد من بداية ظهور الإنسان ثم بداية المجتمعات الحضارية وحتى نهاية عصور ما قبل التاريخ وبداية العصور التاريخية والتي تتميز بمعرفة الإنسان للكتابة، وعلى الرغم من أن عصور ما قبل التاريخ هي مقدمات للعصور التاريخية وتعتبر جزء أساسي منه وأصل في كينونته إلا أن لها طابعها المميز خاصة العصور الحجرية القديمة لما تتشابه فيه كل المجتمعات القديمة على اختلاف مواقعها وتباين مواطنها فقد كانت السمة الأساسية هي استخدام الحجر كأداة رئيسية في شتى مجالات الحياة، وأستمر هذا الحال حتى العصر الحجري الحديث الذي بدأت تتباين فيه الحضارات من موطن لأخر فهو في مصر يختلف عن بلاد النهرين عنه في الشرق الأقصى أو أوربا، كما اختلفت بدايته من مكان لأخر حسب اكتمال مقومات هذا العصر الذي يميزه التحول الخطير في حياة الإنسان وهو تحول الإنسان من جامع للطعام إلى منتج للطعام باكتشافه للزراعة وما ترتب عليها من استقرار وتطور في شتى مجالات الحياة.

كانت المراحل التي مرت بها الكرة الأرضية هي البدايات والممهدات لبدء حياة الإنسان علـــى الأرض تبدأ مع بداية التاريخ الجيولوجي للكرة الأرضية الذي ينقسم إلي حقبتين زمنيتين متباينتين في خواصهما وامتدادهما و نمط الحياة العضوية التي سادت فيهما أولهما تسمى الكريبتــوزوي Cryptozoic Era أي "حقبة الحياة غير المعروفة" وتعرف أيضاً بعصر ما قبل الكمبرى Precambrian time و قــد استمرت من ٤٦٠٠ مليون سنة إلى ٦٠٠ مليون سنة مضت وقد قسمت تلك الحقبة إلى قسمين رئيسيين هما:

١- العصر الأركى Archean واستمر من ٤٦٠٠-٢٦٠٠ مليون سنة

٢- العصر الجونكى Algonkian واستمر من ٢٦٠٠-٦٠٠ مليون سنة

خلال تلك الحقبة الزمنية السحيقة لم تكن هناك صورة من صور الحياة العضوية المميزة إنمــا أمكــن التعرف علي كائنات دقيقة من الطحالب الجيرية الأولية و بعض البكتريا اللاهوائية وكائنات أخري لم تحفظ كاملة في صخور القشرة لعدم وجود هيكل صلب لها يعكس تركيبها الخارجي ونمط معيشــتها، وقد مثلت هذه الفترة ٨٠ % من تاريخ الكرة الأرضية، في حين أن ٢٠ % الباقية والتي تمثــل ٦٠٠ مليون سنة الأخيرة فيطلق عليها الفانرزوي Phanerzoic وهي "حقبة الحياة المعلومة" وامتدت من ٦٠٠ مليون سنة حتى الآن و قد اكتسبت تلك التسمية لوجود بقايا عضــوية مميــزة للكائنـــات التـــي ازدهرت و تنوعت في الوسط المائي و علي اليابسة و تركت آثارها في الصخور المختلفــة و أمكــن

التعرف علي تركيبها الخارجي و استنتاج الظروف البيئية التي سادت إبان حياتها، وقد قسمت تلك الحقبة الزمنية إلي ثلاثة أحقاب جيولوجية مرتبة من القديم إلي الحديث كما يلي[1] :

أولاً: حقبة الحياة القديمة "باليوزويك" Paleozoic Era من ٦٠٠ – ٢٣٠ مليون سنة (حوالي ٣٧٠ مليون سنة) وقد قسمت من الأقدم إلي الأحدث إلي العصور الستة الآتية:

١- عصر الكمبري Cambrian واستمر حوالي ١٠٠ مليون سنة
٢- العصر الأوردوفيشي Ordovician واستمر حوالي ٦٥ مليون سنة
٣- العصر السيلوري Silurian واستمر حوالي ٤٠ مليون سنة
٤- العصر الديفوني Devonian واستمر حوالي ٥٠ مليون سنة
٥- العصر الكربوني Carboniferous واستمر حوالي ٦٥ مليون سنة
٦- العصر البرمي Permian واستمر حوالي ٥٠ مليون سنة

ثانياً: حقبة الحياة المتوسطة "ميزوزويك" Mesozoic Era من ٢٣٠ – ٦٥ مليون سنة (حوالي ١٥٦ مليون سنة) وقد قسمت إلي ثلاثة عصور مرتبة من القديم إلي الحديث كما يلي:

١- العصر الترياسي Triassic واستمر ٣٥ مليون سنة
٢- العصر الجوراسي Jurassic واستمر ٤٥ مليون سنة
٣- العصر الكريتاسي (الطباشيري) Cretaceous واستمر ٧٦ مليون سنة

ثالثاً: حقبة الحياة الحديثة "سينوزويك" Cenozoic Era وتشمل الـ ٦٥ مليون سنة الأخيرة من عمر الأرض، وقسمت هذه الحقبة إلى سبعة أزمنة كما يلي:

١- عصر الباليوسين Paleocene واستمر حوالي ٥ مليون سنة
٢- عصر الأيوسين Eocene واستمر ٢٢ مليون سنة
٣- عصر الأوليجوسين Oligocene واستمر ١١ مليون سنة
٤- العصر الميوسين Miocene واستمر ١٢ مليون سنة
٥- العصر البليوسين Pliocene واستمر ١٢ مليون سنة
٦- العصر البليستوسين Pleistocene وبدء منذ حوالي مليون سنة
٧- عصر الهولوسين Holocene وبدأ هذا العصر منذ حوالي ١٠ ألف سنة ق.م وهي تمثل عصر رقي الجنس البشري و سيادة العقل، وهو بداية العصر الحجري الوسيط

وقد اعتمد التقسيم السابق علي التغيرات الجذرية التي حلت بالأرض والتي أدت بدورها مع نهاية كل حقبة إلي اختفاء معظم الكائنات المميزة لها لعدم قدرتها علي التأقلم للظروف البيئية الجديدة واستمرار

---

[1] http://en.wikipedia.org/wiki/10th_millennium_BC

كائنات أخري تكيفت وهيأت أعضائها للظروف التي استحدثت بالوسط البيئي وكافحت للبقاء واستمرت في حياتها بشكل متطور، وقد اشتق كل اسم من أسماء تلك العصور من صفة تميز طبيعية صـــخورها السائدة أو أقسامها المتعارف عليها بالمناطق التي درست فيها أو نسب إلي المكان المثالي الذي تراكمت فيه تلك الرواسب بصورة واضحة و ترتيب متكامل.

الفصل الأول

العصر الحجري القديم

لقد عاش الإنسان في العصور الحجرية منذ نشأته وحتى بداية العصور التاريخية حقبة زمنية طويلة تقدر فيما بين نصف مليون ومليون سنة، وإن قدرها بعض العلماء بأكثر من مليـــون سنة، وهي العصور التي تبدأ بالعصر الحجري القديم وتنتهي بالعصر الحجري الحديث، وهي عصور مهدت على الرغم من طولها إلى العصور التاريخية، وقد تشابهت أحوال إنسان ذلك العصر في مصر مع مثيلاتها من مناطق التجمعات الأولى للعصور الحجرية القديمة في مختلف مناطق العالم المسكون آنذاك، فهو إنسان جامع للطعام يعيش على الصيد ويقتات من نبات الأرض، وقد استخدم لذلك أدواته الحجرية التي تطورت وتنوعت أشكالها مع الوقت لتتفق مع وظائفها التي طالما استحدثت مع تطور الإنسان وتنوع احتياجاته.

ودراسة هذه الأدوات الحجرية هي التي تمكننا من وضع تصور زمني لعصور ما قبل التاريخ ومراحل تطورها منذ عرف الإنسان الحجر كأداة له، وهذه العصور يمكن تقسيمها كالتالي[٢]:

١- العصر الحجري القديم، وينقسم بدوره إلي ثلاث عصور هي العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط والأعلى.
٢- العصر الحجري الوسيط، وهي مرحلة وسيطة بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، ولا يعترف كثير من العلماء بأهمية هذه الفترة، أو بوجودها في مصر والشرق الأدنى.
٣- العصر الحجري الحديث، وهو اقصر العصور الحجرية من حيث الزمن، وقد عرف في مصر منذ الألف السادس قبل الميلاد، ويميز هذا العصر معرفة الإنسان للزراعة واستئناس الحيوان وصنع الفخار، حيث أصبح الإنسان منتج لطعامه وليس جامعاً له فأصبح مستقراً غير متنقل فعرف المسكن والمدفن.
٤- العصر النحاسي الحجري، ويعتبر آخر العصور الحجرية، وقد عرف فيه الإنسان استخدام النحاس بجانب الحجر، ولذلك سُمّيَ بالعصر النحاسي الحجري .

---

[٢] راجع : بياتريكس ميدان رينيس، عصور ما قبل التاريخ في مصر من المصريين الأوائل إلى الفراعنة الأوائل، ترجمة ماهر جويجاتي، القاهرة – دار الفكر ٢٠٠١، ص ٤٥-١٤١، سليم حسن مصر القديمة، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ١٧- ٦٣، و عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة ١٩٨٠، ص ٥٦-٧٧، و علي رضوان، الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات في مصر، جامعة القاهرة ١٩٩٠/١٩٩١، ص ٨-١٣، و رمضان السيد، تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول، هيئة الآثار المصرية — مشروع المائة كتاب ١٦، ص ١٤١-١٤٥، مصطفى عامر، حضارات عصر ما قبل التاريخ، في : تاريخ الحضارة المصرية، الجزء الأول العصر الفرعوني، دار النهضة العربية (بدون تاريخ)، ص ٣٧-٤٣؛ P. Honoré, Das Buch der Altsteinzeit, Düsseldorf . Wien 1967, pp. 145-185.

يبدأ العصر الحجري القديم في نهاية حقبة البليستوسين منذ نشأة الإنسان ويمتد حتى إكتشافه للزراعة حوالي ١٠٠٠٠ ق.م، وهو بذلك أطول المراحل الزمنية في تاريخ البشرية وأشدها قسوة على الإنسان إذ كان يخضع لسلطان البيئة محاولاً التعايش مع كل تغيراتها بأدواته البدائية المحدودة من أفرع الشجر التي بليت مع الزمن لطبيعتها العضوية الغير قادرة على الزمن ومتغيراته، وكذلك أدواته الحجرية والتي تعتبر بالنسبة لدارسي آثار ما قبل التاريخ المادة الأساسية التي يعتمد عليها لمعرفة هذه الحقبة من تاريخ البشرية، بالإضافة إلى ما استخدمه من عظام الحيوانات وقرونها، وكان إنسان ذلك العصر صائداً متجولاً، جامعاً لثمار الشجر ونبات الأرض، باحثاً عن قوته ساعياً وراء رزقه، فاحترف الصيد وأتقنه، فأحياناً كان يسوق فرائسه إلى مصائد يقيمها أو حفر يعدها، وأحياناً أخرى يتنكر في جلود الحيوانات ليتمكن من الاقتراب من فريسته واقتناصها بسهولة، وبطبيعة الحال استغل جلود هذه الحيوانات وفرائها كملبس يقيه قسوة الطبيعة، وإنتشرت آثار هذه العصور في مناطق عديدة في العالم القديم عرفت باسماء مواقعها التي تميزها، وهي كما يلي:

١. العصر الحجري القديم الأسفل[3] وهو أقدم هذه العصور وأطولها زمناً، وقد قسم هذا العصر بدوره إلى ثلاث مراحل، وهي ما قبل الشيلي Prochelléen والعصر الشيلي Chelléen (ويعرف العصران معاً أيضاً بالعصر الإبيفيلي Abbévillien) ثم العصر الأشولي Acheuléen – نسبة إلى أسماء مناطق (Chelles, Saint Acheul و Abbéville) بفرنسا وهي المناطق التي وجدت بها آثار هذه الفترة لأول مرة – وقد عرف إنسان ذلك العصر إيقاد النار واستخدم الحجر في أولى أشكاله وهو ما يعرف بالفأس اليدوية. وهي عبارة عن قطعة من حجر الظران تأخذ الشكل اللوزي أو المخروطي في أغلبها، وكان يتراوح طولها[4] ما بين ٨سم و ٢٠سم ، وحرص عند تخيرها أن تكون قاعدتها مناسبة لقبضة يده حتى يتمكن منها، إذ كان يتركها بشكلها الطبيعي ما دامت ملساء لحد ما حتى لا تؤذي كفه حين يقبض عليها، ثم يقوم بشطف قمتها وتشكيل جوانبها لتكون ذات حافات مشظاة ومسننة، وخاصة في عصر ما قبل الشيلي، وفي العصر الشيلي كان يهذب القاعدة أيضاً بما ييسر له القبض عليها، ثم زاد في تحديد وشطف الجوانب والقمة في العصر الأشولي لتكون أكثر حده بما ييسر له سهولة استخدامها في أغراضه المختلفة، وانتشرت آثار هذا العصر في مناطق متعددة في مصر مثل العباسية، والصحراء الغربية فيما بين النيل والخارجة وأبيدوس ونجع حمادي وأسوان.

---

[3] P. Honoré, Das Buch der Altsteinzeit, Düsseldorf . Wien 1967, 145ff.

[4] سيد توفيق ، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية ، دار النهضة العربية ١٩٩٠ ، ص ٥ .

٢. العصر الحجري القديم الأوسط[٥] ويعرف هذا العصر أيضاً باسم عصر الحضارة الموسترية Moustérien (نسبة إلى كهف Le Moustier بفرنسا) . ويطلق عليه بعض العلماء عصر الحضارة اللفلوازية Levalloisien (نسبة إلى قرية Levallois-Perret بفرنسا) وهي المرحلة التي كانت قد شاعت من نهاية المرحلة الأشولية، كما عرف في مصر باسم عصر الحضارة السبيلية الأولى نسبة إلى قرية سبيل بكوم أمبو التي عثر فيها على بقايا من آثار هذا العصر وتميزت بكثرة استخدام النصال[٦]، ويتميز هذا العصر بتنوع الأدوات الحجرية، حيث وجدت أدوات ظرانية كبيرة الحجم نسبياً مستوية الوجه محدبة الظهر تشبه في مظهرها ظهر السلحفاة[٧]، أعتاد أصحابها على شطف جوانبها وتهذيبها دون اهتمام بتهذيب سطوحها، أما في مصر اعتاد أصحاب هذه الحضارة على تسوية سطوح أدواتهم الحجرية وتخليصها تماماً من قشورها الطبيعية وشكلوا رؤوسها بما اتفق مع أغراضهم، وبصفة عامة استخدم إنسان ذلك العصر الشظايا الدقيقة المشذبة الصنع والمدببة الأطراف، واستخدم كسرات من الظران كسكاكين ومحكات ومكاشط، كما عرفت أيضاً الأدوات العظمية، وعثر في هذه المرحلة أيضاً على آثار للمواقد، وفي مصر وجدت آثار لهذا العصر في قرية سبيل بكوم أمبو، ومنطقة العباسية ، وبالقرب من نجع حمادي وأسوان .

٣. العصر الحجري القديم الأعلى[٨]، وهو يمثل المرحلة الثالثة للعصر الحجري القديم كما هو معروف في أوربا وأفريقيا وأسيا وبدت فيه حضارة مميزة قبل معرفة الزراعة، وعرف هذا العصر تطور في الأدوات الحجرية وتنوعها وإستخلاص الشفرات، وتشكيل العظم والقرون والعاج و وقد عرفت السهام والحراب وخطاطيف صيد السمك في هذه الفترة بالإضافة إلى مصابيح الشحم التي استخدمت في إنارة كهوفهم، بالإضافة إلى أعمال فنية غاية في الأهمية تتمثل في تماثيل النساء المعروفة بتماثيل فينوس، وصور الكهوف والنقوش الصخرية بالإضافة إلى مواد خام مجلوبة من مناطق غير التي أكتشفت فيها ربما أتت مع هجرة أصحابها والتي كانت تتنقل في جماعات بحثاً عن أماكن الغذاء والصيد[٩]، وعرف هذا العصر عدة مراحل حضارية وهي:
الشاتلبرونية (Châtelprronoia) وهي أقدمها وكانت تتمركز في منطقة وسط وجنوب غرب فرنسا وشمال أسبانيا ويبدو أنها متطورة عن الحضارة الموسترية التي تسبقها ويمثل فترة تداخل بين إنسان نايندرتال والإنسان العاقل، وهي تشمل الفترة من ٣٣٠٠٠ إلى ٢٧٠٠٠ ق.م.

---

٥ P. Honoré, op. cit., 171f.; 185.

٦ علي رضوان ، الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات في مصر ، جامعة القاهرة ١٩٩١ ، ص ٢٥ .

٧ P. Honoré, op. cit., 171.

٨ راجع : Ibid., 244ff.

٩ http://en.wikipedia.org/wiki/Upper_Paleolithic

الأورينياسية (Aurignacian) وإنشرت في أوربا وجنوب غرب أسيا وإذدهرت فيما بين ٣٢٠٠٠ إلى ٢١٠٠٠ ق.م، وهي متعاصرة لمجموعات متداخلة من حضارتي شاتيلبرون مبكر وجرافتي متأخر.

الجرافتية (Gravettian) وكانت منتشرة في فرنسا، وقد عثر على منتجات هذه الحضارة في وسط أوربا وروسيا، وتشمل على الفترة من ٢٦٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠ ق.م.

السوليتيرية (Solutrean) وعرفت هذه الحضارة في شرق فرنسا وأسبانيا وإنجلترا، وتأرخ فنون هذه الحضارة فيما بين ١٩٠٠٠ و ١٥٠٠٠ ق.م.

المجدلينية (Magdalenian) وتبدأ مع نهاية العصر الجليدي الأخير في الفترة من ١٦٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ ق.م، ويعرف العصر المجداليني أيضاً بعصر صيد الأيائل ويوجد بالمواقع المجدالينية أدلة على صيد الغزال الأحمر والخيل وحيوانات أخرى مما كانت تعيش في أوربا في نهاية العصر الجليدي الأخير واتسع نطاق هذه الحضارة من البرتغال غرباً إلى بولندا شرقاً، ويميز العصر المجداليني بصفة خاصة صناعات الشفرات المنتظمة المستخلصة من الحجر، وينقسم العصر المجداليني إلى ست طبقات، تميزت الطبقات الأقدم منها بمجموعة متنوعة من الشفرات وتنوع محدود من المكاشط، أما الوسطى فميزها ظهور الأدوات الحجرية القزمية، أما الطبقتين الأحدث فتميزت الطبقة الخامسة منها بالحراب أحادية النصل والسادسة بالحراب مذدوجة النصل والتي صنعت من العظم أو قرون الوعل أو العاج. ويتميز هذا العصر أيضاً برقي فن الكهوف ومن أشهر كهوف هذه الفترة كهفي لاسكو في جنوب فرنسا وألتاميرا في أسبانيا[١٠].

وخلال هذه الفترة الزمنية الطويلة للعصر الحجري القديم مر وادي النيل بمصر بمرحلتين طبيعيين مختلفتين.

المرحلة الأولى ارتفع فيها مستوى ماء النيل ، وكانت الصحراء عبارة عن وديان تجري بها الأنهار وكثرت البحيرات وكانت بحيرة منخفض الفيوم هي أكبرها ، فقدرت مساحتها قدر مساحة بحيرة قارون الحالية أربعة عشر مرة ، وفاضت العيون بالواحات، حتى انتشرت الخضرة والغابات لتكون بيئة نباتية ملائمة للكثير من الحيوانات العشبية المختلفة كالغزلان والظباء والتياتل والأغنام والحمير وكذلك الفيلة والنعام ، بالإضافة إلى الحيوانات الكاسرة كالأسد والذئب والضبع . وهذا كما تظهره الرسوم التي خلفها إنسان ذلك العصر على صخور جبل العوينات بالصحراء الغربية وفي جنوبي مصر وبلاد النوبة وفي جبال البحر الأحمر.

وفي المرحلة الثانية وذلك خلال المرحلة الأخيرة من العصر الحجري القديم ساد الجفاف وادي النيل وقلت الأمطار وهبط مستوى النيل وجفت الوديان في الصحراء وغلب على مصر البيئة الصحراوية وهجر الإنسان مواطنة الأولى وانتقل إلى مواطن جديدة تقترب من الشريط الضيق لوادي النيل.

---

١٠ http://en.wikipedia.org/wiki/Magdalenian

وفي هذا العصر الحجري القديم الأعلى برزت الصبغة المحلية للحضارة المصرية وخاصة فيما عرفت بالحضارة السبيلية الثانية والتي تميزت بدقة شطف الحواف وتسويتها مع فصل الشظايا الرقيقة غير العريضة والمدببة في أغلب الأحيان كما بدأ استخدام الأدوات القزمية، وكذلك السبيلية الثالثة والتي شاع فيها استخدام الأدوات القزمية بأشكالها الهندسية المعروفة وهي الهلالية وشبه المنحرف والمثلث والتي كانت قد ظهرت في السبيلية الثانية[11]، وكذلك في حضارة الخارجة بالصحراء الغربية، كما تأثرت ببعض المؤثرات الخارجية ممثلة في الحضارة العاطرية المعروفة في شمال غرب أفريقيا، وقد تطورت الآلات الحجرية إذ قلت أحجامها وزاد تنوعها، وكانت الأدوات السبيلية في هذه المرحلة أكثر تطوراً عن غيرها وزاد أهلها من صناعة الشظايا وتنويع أشكالها والتي عرفت في مجملها بالأدوات القزمية إذ تراوحت أطوالها[12] بين ٢سم و ١٠سم وقد استخدمت هذه الأدوات كمناحت لتشكيل الأدوات الصغيرة من العظام والقرون، فضلاً عن استخدامها فيما يؤدي أغراض المخارز والمكاشط ، كما عرف منها أيضاً ما استخدم كرؤوس للسهام، وعثر على أدوات هذا العصر في منطقة حلوان ونجع حمادي وإدفو وكوم أمبو وأسوان والخارجة

فن تشكيل الحجر في العصر الحجري القديم

استخدم الإنسان في العصر الحجري القديم الأحجار المختلفة والمتاحة له في صنع أدواته وأسلحته، وكان حجر الصوان أهم وأفضل هذه الأحجار نظراً لصلابته وسهولة تشكيلة وحدته بعد التشكيل، وينتشر هذا الحجر في مصر بكثرة، كما استخدم إنسان ذلك العصر أنواع أخرى من الحجر الرملي وبعض الأحجار النارية، وفي منطقة كوم أمبو في العصر الحجري القديم الأعلى استخدمت أحجار الكوارتز والديوريت جنباً إلى جنب مع الصوان، وتتميز هذه الأنواع بشدة صلابتها .

وصناعة الأدوات الحجرية لها أصولها وفنها الخاص، فعند صنع الأداة الحجرية تفصل الشظايا عن النواة حتى تخرج الآلة متفقة مع الشكل المطلوب، كما شكلت الفؤوس اليدوية، أما الشظايا المنفصلة فكانت تهمل في بداية العصر الحجري القديم، ثم استخدمت بعد ذلك في أغراض مختلفة مما أدى إلى تشذيبها، أو استخلاصها بطرق النواة بطريقة فنية خاصة لفصل الشظايا المطلوبة، ثم تشذب هذه الشظايا لتصل في النهاية إلى الأداة المرغوب فيها، فمنها الشظايا الطويلة ومنها المكاشط والمدببات ورؤوس الرماح وأطراف السهام وغيرها.

---

[11] علي رضوان ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .

[12] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .

وقد استخدم في هذا الغرض مطارق من الحجر، بالإضافة إلى مدببات من العظم والحجر وخاصة عند صناعة الأدوات الحجرية الدقيقة والتي تحتاج إلى تشذيب حوافها والتي كانت تتم بواسطة الضغط إذ أنها طريقة معروفة حتى الآن عند بعض القبائل البدائية كما هو الحال لدى بعض قبائل الهنود الحمر، وقد ساعدت مشاهدة هذه القبائل على فهم الكثير من أصول فن صناعة الأداة الحجرية عند إنسان العصر الحجري[١٣] .

طريقة تشكيل الحجر:

فعندما كان يريد إنسان العصر الحجري تشكيل أداته الحجرية فأنة يبحث أولاً عن الحجر المناسب، ثم يقوم بكسر هذا الحجر بآلة طرق من الحجر أيضاً ، فينشأ عن ذلك شيئين أساسيين وهما النواة وهو الجزء الأصلي من الحجر الذي تنفصل عنه الشظية والتي تبدو في هيئة رديئة الشكل إلا أنها تحتوي على عدة مظاهر أساسية تدل على صناعتها وهي[١٤] :

١- سطح الطرق وهو السطح الذي طرق فوقه بمطرقة من الحجر لفصل الشظية.

٢- بصيلة الطرق وهو نتوء أو انتفاخ أسفل سطح الطرق مباشرة من داخل الشظية، ويظهر عليه أحياناً أثر الطرق.

٣- تموجات وهي تموجات على السطح الداخلي للشظية ، وتظهر كأنها تشع من نقطة الطرق في سلسلة متوالية تتدرج تصاعدياً إلي أقواس كبيرة ، تماماً كما يحدث عند إلقاء حجر في الماء فتخرج حلقات تموجية من نقطة الإلقاء تتسع تدريجياً كلما بعدت عن نقطة إلقاء الحجر، ويعرّف الجيولوجيون السطح المشطوف ذو التموجات بـ "كسر شبه صدفي" وهو اصطلاح يعني أن السطح المكسور من الحجر يكون ناعماً ذو تموجات تحاكي سطح المحارة ذات الصدفتين .

٤- تشققات وهي تشققات رقيقة على السطح الداخلي تشع من نقطة الطرق.

٥- سطح الظهر وهو السطح الخارجي للشظية، وهو نفسه السطح الخارجي للنواة عند صنع الشظية، وتظهر كأنها رقعة من اللحاء أو القشرة على سطح الشظية الخارجي.

وبالمثل يظهر من شكل النواة ما يشير إلى كيفية صنعها :

١- اللحاء وهو القشرة الخارجية للحجر.

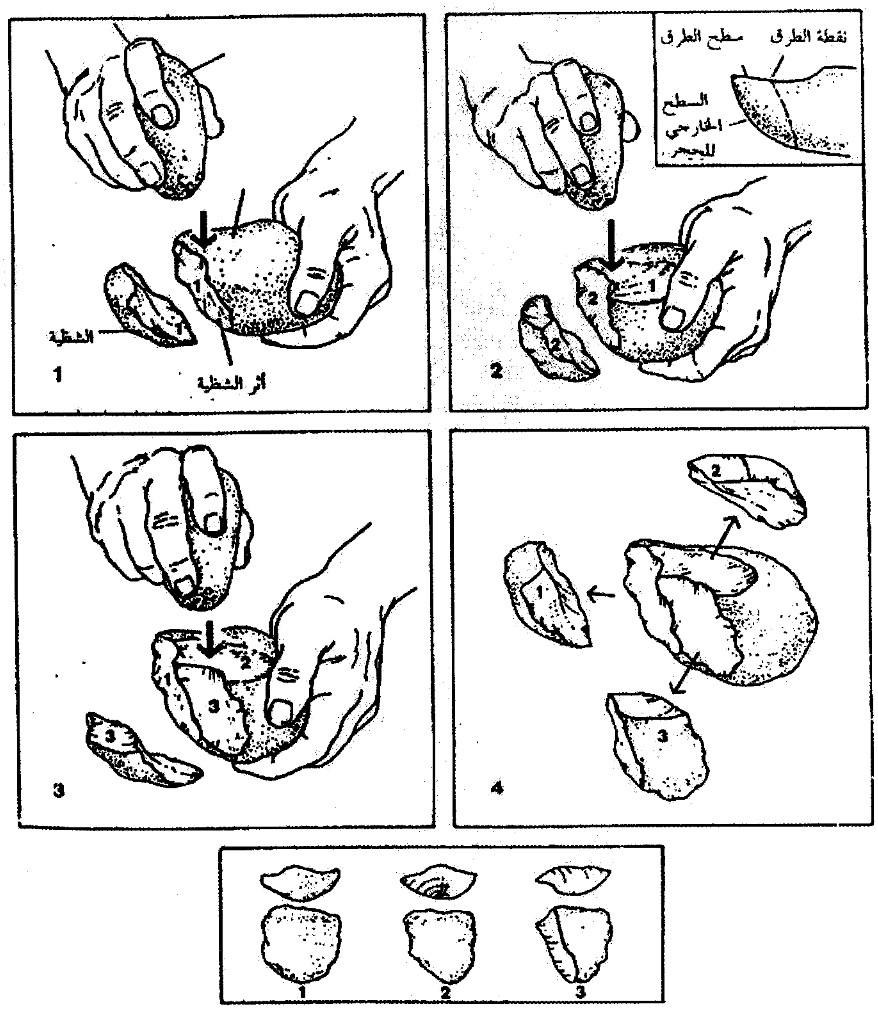
٢- أثر الشظية وهو السطح المقعر الذي يظهر الأثر السالب حيث انفصلت الشظية عن النواة. وأثر الشظية الكامل يجب أن يكون مطابقاً تماماً للسطح الداخلي للشظية المنفصلة عنه

---

[١٣] مصطفى عامر ، حضارات عصر ما قبل التاريخ ، تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، ص ٤٤ – ٤٥ .

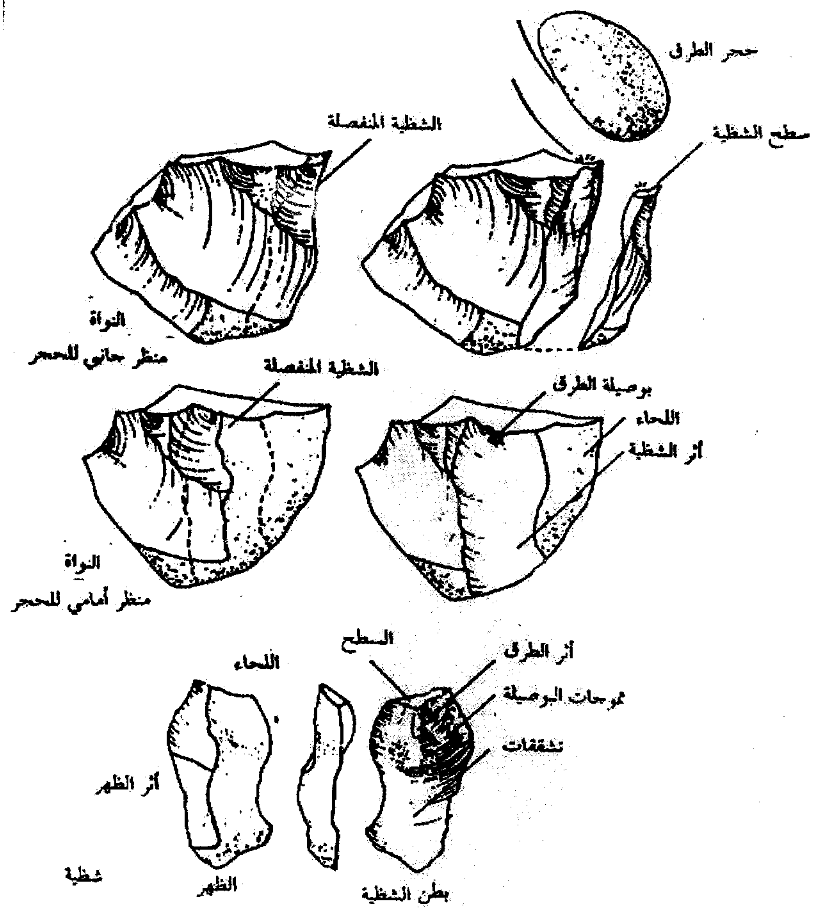
[١٤] Kathy D. Schick and Nicholas Toth, Making silent stones speak, New York 1993, 94f.

وكأنها مرآة تظهر هذا السطح متضمنة أيضاً سالب بصيلة الطرق والذي يطابق موجب بصيلة الطرق فوق الشظية، كما تظهر أيضاً التموجات والتشققات، وعلى أي حال كانت الشظايا المستحدثة تمحو عند عملها أثر موضع الشظية القديمة.



شظايا

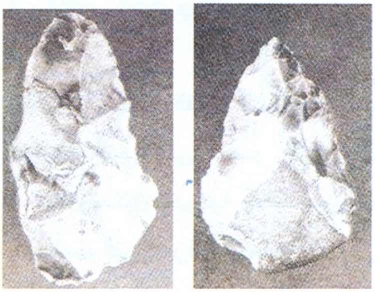
شكل ١ كيفية تشكيل الحجر

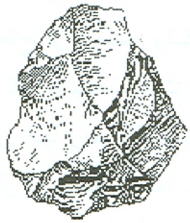


شكل ٢ استخراج الشظية من الحجر

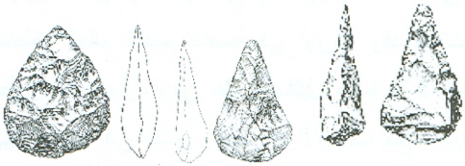


شكل ٣ فأس يدوية من العصر الشيلي

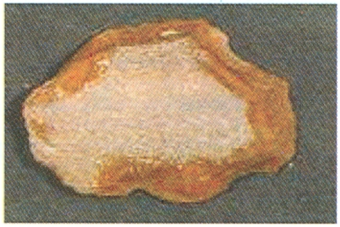




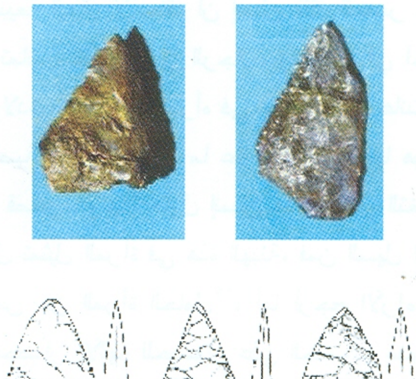
شكل ٤ أداة حجرية إيبفلية



شكل ٥ أدوات حجرية أشولية



شكل ٦ أداة حجرية لفلوازية



شكل ٧ أدوات حجريه موستيرية

النحت في العصر الحجري القديم

عرف العصر الحجري القديم أقدم المنحوتات التي صنعها الإنسان وخاصة في العصر الحجري القديم الأعلى ويرجع أقدمها إلى العصر الأوريجناسي وكثرت في المجداليني، وشملت منحوتات تلك الفترة تماثيل آدامية وتماثيل حيوانية شكلت من الحجر والصلصال والعاج والعظم والقرون[١٥]، ولعل أهمها تماثيل النساء والتي عرفت بتماثيل فينوس[١٦] (Venus figurines) وهي مجموعة من التماثيل الصغيرة لنساء ممتلئات أو حاملات، وتعود هذه التماثيل إلى العصر الحجري القديم الأعلى الأوريجناسي أو الجرافيتي (حوالى ٣٠٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ قبل الميلاد) وقد عثر عليها في العديد من مناطق العالم القديم خاصة في أوربا، وقد نحتت من الحجر أو العاج أو العظم، وشكل بعضها من الطين المحروق، وفي هذه التماثيل عادة ما لا تظهر ملامح للوجه، كما توجد مبالغات تشريحيه مبالغ فيها خاصة في الثدي والبطن والأرداف مع تحديد للفرج، وكلها تبين انها ربما كانت تستخدم كتماثيل للخصوبه، على الرغم من كونها موضع نقاش ككثير غيرها من آثار تلك الفترة، كما أنها بالنسبة لنا غير محددة المغذى حتى الآن إلا أنها ربما ترمز للآمان والفلاح والخصوبة، أو أشكال جنسية محببة لأصحابها، كما يمكن إعتبارها أشكال أولية لتماثيل المعبودات، لإن إنسان تلك الحقبه كان صياداً، همه الأول الحصول على الامدادات الغذاءيه المطلوبة لمعيشته، ومحاولة التغلب على احوال الطقس، وبطبيعة الحال لا نعتقد أن إنسان ذلك العصر كان يفكر في تمثيل البدانة كنمط فني خاصة أنها مثلت في تماثيل النساء دون الرجال، وهناك رأي آخر يرى أنها تماثيل سحرية لتعويض الوافيات بالحمل والولادة، ويبدو ان المرأه في هذا العصر عانت من زيادة خطر الوفاه خلال العشرينات من عمرها، وخاصة أنه عند فحص ما عثر عليه من بقايا هياكل عظمية لإنسان هذا العصر لوحظ أن متوسط العمر كان قصيراً، ولهذا حاول إنسان هذا العصر التغلب على معدلات الوفيات المرتبطه بالحمل والولادة من خلال تمثيل المرأة في هذه الهيئة، فمن السهل ان نرى التشابه في هذا، وإن كان مبالغا فيه بين تماثيل فينوس عن المرأة الحامل[١٧]، أما أرجح الآراء فهي تماثيل عبادة كآلهة للخصوبه أو تستخدم سحرياً لإستحضار الآلهة للحصول على الخصوبه منها في الأنواع، ومع ذلك فإن هذه التماثيل عمل فني له قيمتة التي تحسب لإنسان هذا العصر.

---

[١٥] حسن الباشا، الفنون البدائية، القاهرة ١٩٧٩، ص ٦.

[١٦] أنظر: G. Bosinski G., Die Kunst der Eiszeit in Deutschland und in der Schweitz. Katalogue vor und frühgeschichtlicher Altertümer, Band 20, Bonn 1982; H. Delporte, L'image de la femme dans l'Art Préhistorique, Paris 1979 ; M. Lorblanchet et A.C. Welte, Les figurations féminines stylisées du Magdalénien Supérieur du Quercy - Actes du LXIIe Congrès d'Etudes Régionales, Société des Etudes du Lot, TCVIII (1987), pp 3-58.

[١٧] أنظر: سيد توفيق، تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم مصر والعراق ، ص ٤٣-٤٤.

ومن هذه التماثيل تمثال فينوس فيليندورف (Venus Willendorf)، والذي عثر عليه في منطقة فيليندورف في النمسا أثناء إنشاء خط السكك الحديديه فى عام ١٩٠٨م، وهو مصنوع من الحجر الجيري ويرتفع حوالى ١١ سم، ويرجع إلى حوالي ٢٦٠٠٠-٢٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد، محفوظ الآن في متحف التاريخ الطبيعي بفيينا[١٨].



شكل ٨ فينوس فيليندورف
http://donsmaps.com/willendorf.html



شكل ٩ فينوس كوستينكي
http://donsmaps.com/ukrainevenus.html

فينوس كوستينكي عثر عليها في كوستيينكي (Kostenky) بأكرانيا، والتمثال مصنوع من الحجر الجيري ويرتفع ١٠,٢سم، ويؤرخ فيما بين ٢٣٠٠٠ و ٢١٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وقد مثلت فينوس كوستينكي كما هو معتاد ببطن وثديين وأرداف ممتلئة، وترى الرأس تنحني نحو الصدر ولا تظهر بها ملامح للوجه، أما الزراعان ملتصقان بالجسد من أمام بحيث تظهر اليدين على البطن. ويغطي سطح الرأس نقش يدل على الشعر، كما يظهر النقش حول الرقبة وأعلى الصدر قلادة للزينة وكذلك إساور حول الزراع، مما يدل على الإهتمام بالزينة في هذا الزمن البعيد[١٩].

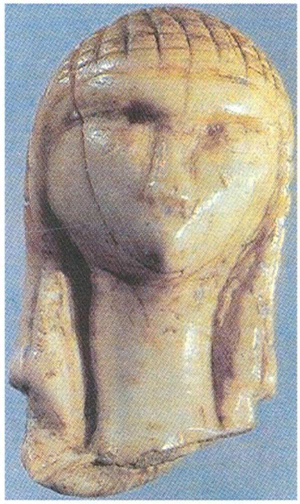
---

١٨ حسن الباشا، المرجع السابق، ص ٨، سيد توفيق، المرجع السابق ص ٤٤، http://donsmaps.com/willendorf.html

١٩ http://donsmaps.com/ukrainevenus.html



شكل ١١ فينوس لاوسيل
http://donsmaps.com/lacornevenus.html



شكل ١٠ فينوس براسيمبوي
http://donsmaps.com/brassempouyvenus.html

فينوس براسيمبوي وهي رأس صغيرة منحوتة من العاج، ترتفع ٣.٥ سم، وجدت في براسيمبوي (Brassempouy)، لاندي (Landes) بفرنسا. تؤرخ بحوالي ٣٠٠٠٠ سنة. وهي واحدة من القطع الفنية القليلة من العصر الجليدي، ويظهر بها ملامح الوجه وتفصيل تسريحة الشعر[٢٠].

نقش غائر في الحجر الجيري لفينوس لاوسيل (Laussel)، عثر عليها عام ١٩١١ بواسطة الفيزيائي لالان (J. G. Lalanne) في دوردوني (Dordogne) ليس بعيداً عن كهف لاسكو، يرفع ٤٤ سم، محفوظ حالياً بمتحف Musee d'Aquitane, Bordeaux ،وتؤرخ هذه القطعة الفنية فيما بين ٢٧٠٠٠-٢٢٠٠٠ سنة، يظهر النقش بمنظر أمامي لجسم متضخم وهي تصنف على أنها نقش صخري إذ أنها مقطوعة من أصل صخري بمساحة ٤متر مربع وكانت ملونة بلون أحمر ضمن منطقة تعد مأوى صخري ربما أستخدم أيضاً لإقامة بعض الطقوس البدائية[٢١]، وتظهر السيدة بجسدها المترهل

---

[٢٠] حسن الباشا، المرجع السابق، ص ٨، سيد توفيق، المرجع السابق ص ٤٥،
http://donsmaps.com/brassempouyvenus.html

[٢١] ويرى البعض أن قرن البيزون مثل عليه ١٣ خط ربما ترتبط مع القمر فهي تمثل الثلاثة عشر يوماً لظهور للقمر المكتمل أو تمثل الثلاثة عشر شهراً للسنة القمرية (http://donsmaps.com/lacornevenus.html) ، وهو أمر مستبعد أن يكون إنسان هذا العصر عرف التقويم القمري وأن يفكر بتمثيل هذا فنياً.

تضع يدها اليسرى على بطنها وتمسك باليمنى قرن بيزون وكأنها ستشرب منه، وربما كانت تقوم بطقسة معينة.



شكل ١٢ تمثال إنسان الأسد من عاج الماموث
http://donsmaps.com/lionlady.html



شكل ١٣ تمثال برنو من عاج الماموث
http://cmsu2.cmsu.edu/~ldm4683/5.htm

تمثال إنسان الأسد أو السيدة اللبؤة من هولينشتين – شتاديل (Hohlenstein-Stadel) يرتفع ٢٨ سم، مصنوع من عاج الماموث، عثر عليه في كهف هولينشتين – شتاديل في وادي لونا بمقاطعة بادن – فورتمبرج (المانيا) عام ١٩٣١، وهو محفوظ الآن بمتحف مدينة أولم، ويؤرخ بالعصر الأوريجناسي حوالي ٣٢٠٠٠ سنة. ويرجح تسمية هذا التمثال بالإنسان الأسد، إذ أنه ليس من المؤكد انها انثى، وهو الآن مجمع من أكثر من ٢٠٠ قطعة صغيرة، وقد يكون هذا التمثال تجسيد للقوة ومحاولة للاستيلاء على السلطة بقوة الاسد[٢٢].

---

[٢٢] http://www.museum.ulm.de/sammlungen/loewenmensch.htm , http://home.bawue.de/~wmwerner/english/lionlady.html

تمثال لرجل من عاج الماموث عليه بقايا لون أحمر، ويرتفع ٢٠سم، عثر عليه في دفنة في برنو (Brno) بالقرب من دولني فستونيس (Dolni Vestonice) بالجمهورية التشيكية، الرأس والجذع والذراع اليسرى فقط باقية وفقد باقي التمثال يؤرخ بحوالي ٢٦٠٠٠ سنة[٢٣]، وعند إعادة تركيب هذا التمثال وجد أنه أشبه بدمية وضعت مع طفل في دفنته مما أدى إلى الإعتقاد بأنها كانت وسيلة لعلاج بالسحر لآلام هذا الطفل الذي ربما مات متأثراً بمرضه فدفنت معه هذه الدمية الممثلة على هيئة رجل، وعلى الرغم من أن أغلب ملامح الرجل مشوهه من عوامل الزمن إلا أنه تظهر عناية الفنان في تمثيل الجسد عاري محدداً حلمة الثدي اليمنى للرجل وسرة البطن، وأسفل الجزع يرى جزء من عضو الذكر الذي كان منتصباً ربما ليؤدي إلى فكرة النضوج والإخصاب التي كان يتمناها للطفل الذي دفنت معه، وكان يرغب فيها إنسان هذا العصر بصفة عامة.

كما برع الإنسان البدائي في صناعة تماثيل من الطين والعاج لحيوانات هذا العصر مثل البيزون والحصان، ومن قطع النحت الجميلة والمصنوعة من عاج الماموث، تمثال صغير لبيزون طوله ١٠ سم وقد عثر عليه سيرجي ليف (Sergey Lev) ضمن حفائر معهد الآثار بآكادمية روسيا للعلوم عام ٢٠٠١ في حفرة بمنطقة زارايسك (Zaraysk) في روسيا، عليه بقايا ألوان أحمر وأسود، وقد وجد التمثال بأقدام مكسورة وغالباً أنها كسرت عمداً قبل أن يلقى به في الحفرة التي وجد فيها، كأحد الطقوس السحرية التي كان يقوم بها إنسان هذا العصر للتمكن من فريسته فلا تستطيع الهرب اثناء عملية الصيد، ويؤرخ هذا البيزون فيما بين ٢٣٠٠٠-٢٢٠٠٠ سنة[٢٤].



شكل ١٤ بيزون زارايسك
http://donsmaps.com/images8/zaryskbison2.jpg

---

٢٣ http://cmsu2.cmsu.edu/~ldm4683/5.htm

٢٤ http://www.archaeology.org/0209/newsbriefs/palaeo.html أنظر أيضاً http://ru.wikipedia.org/

التصوير في العصر الأورينـاسي:

تميز فن الإنسان الأول بتنوع أساليبه في تنفيذ الرسوم والصور وترجع لتلك المرحلـة رسـوم أوليـة لبعض الحيوانات لم يراع فيها فن المنظور قد تكون محظورة أو ملونة بلون واحد ويشاهد الجسم عادة مرسوما من الجانب غالباً برجل واحدة أمامية ورجل خلفية، وفي نهاية المرحلة الأورينـاسية ظهـرت الأرجل الأربعة مرسومة كذلك لم يقتصر الفنان علي الخطوط الخارجية بـل حـاول اظهـار بعـض التفاصيل عن طريق الخطوط القصيرة المتوازية.

وكان تمثيل كف الإنسان من الرسوم الأولية في الفترة الاورينـاسية و قد ظهر منها نوعان ، النوع الأول منها كان يمثل بتحديد الألوان خارج الكف و ذلك بوضع هيكل اليد غالباً اليسرى علي السطح ثم ينفث بودرة الفحم أو المغرة الحمراء عليها بالفم لتظهر حدود الكف الخارجية، أما النوع الثاني فكانت لبصمة الكف وكانت تتم بوضع الكف نفسه في مادة ملونة و يطبعها علي سطح مستوي، وقد اتخذت بصمات اليد اللون الأسود أو الأحمر أو البني كما كانت تتخذ أحيانا اللون الأبيض و الأصفر، وكان كهفي جارجاس Gargas بجنوب فرنسا و الكستيلو El Castillo بشمال أسبانيا من أشهر الكهوف التي وجد بها رسومات للكف .

التصوير في العصر المجداليني:

لم يعثر حتى الآن في الطبقات الحضرية أو الكهوف السولترية علي تحف فنية تستحق الذكر تنتمي إلي الإنسان السولتري بعكس الإنسان الذي عاش في العصر المجدالي فقد كان محباً للفن مطوراً له حتـى وصل فن التصوير في عهدة إلي درجة عالية من الجودة والابتكار فقد بدء الفنان يهتم بالمنظور سواء في رسم القرون أو أشكال الأرجل والحوافر كما ظهرت محاولات أولى في التظليل بمعني أن كثيرا ما توضع طبقة سميكة من اللون الواحد بطريقة مقبولة علي تخطيط محفور حتى تعطي إحساساً بالتظليل.

ففي أوائل العصر المجداليني كان الخط الخارجي الذي يحد الشكل كله سواء كان حفراً أو لونـاً علـي قدر من الاتساع ويعبر عن الشكل تعبيراً صادقاً وحياً، وكان الخط الخارجي يتسع في الأماكن لإظهار بعض التفاصيل وكان الفنان يحاول أن يظهر الشكل ثقيلاً مجسماً وذلك عن طريق العنايـة بتفصـيل الأطراف والكساء الخارجي كالفرو والشعر وكان يصل إلي ذلك إما بالتظليـل بـالخطوط القصـيرة المتوازية المحفورة وإما بتوزيع الألوان علي أنه لم يكن موفقاً في مراعاة التناسب بين الأجزاء المختلفة وتمثل الرسوم المحفورة التي اكتشفت ١٩٠١ في كهف كومبارل بالدعوني بفرنسا مرحلة مبكـرة فـي اسلوب التصوير المجداليني.

وقد وصل فيه التصوير علي جوانب الكهوف إلي ذروته في أوائل النصف الثاني من العصر المجداليني فقد صارت الصور أكثر حيوية وحركة فعني الفنانون بالتجسيم وذلك عن طريق استعمال الألوان الكثيرة، وقد بدأ استخدامها بأن رسم الفنان بعض أجزاء الحيوان كالحوافر والعيون والمعارف بلون مخالف عن لون الجسم كله وفي أغلب الأحيان كانت هذه الأجزاء تكون باللون الأسود بينما كان باقي الجسم يطلي باللون الأحمر أو البني وبعد ذلك صار الجسم كله يطلي بالأسود ثم يظلل بالأحمر الداكن كما استخدمت الخطوط القصيرة المتوازية المحفورة مع الألوان لإظهار عضلات الجسم، وقد امتاز التصوير في مرحلة الازدهار بالعناية بدراسة الحركة والمهارة في إظهارها كذلك صورت الحيوانات مجتمعة في حركة ما في شكل أفريز وليس مجرد حيوان بجانب آخر ولكن في منظر مميز، أما في نهاية المرحلة المجدالينية فقد حدث انهيار مفاجئ في أسلوب التصوير حيث أصبحت التصوير حيث أصبحت الخطوط الخارجية غير دقيقة وإن كان هناك بعض النماذج للصور الملونة جيدة جداً، كذلك أسلوب النقش يختفي واصبحت صور الحيوانات غير واقعية واصبح يتم تصوير أجزاء من الحيوانات التي يتم اصطيادها للغذاء[٢٥].

كهف لاسكو

كان أبطال اكتشاف كهف لاسكو أربعة تلاميذ تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشر والسابعة عشر وكانا يعيشون في مدينة مونتريال علي نهر الفيزير بجنوب فرنسا، وقد صمم هؤلاء الأصدقاء علي المغامرة بالبحث من كهف جديد وكذلك بعد أن تردد في ذلك الوقت إشاعة تقول أنه يوجد في الضفة الجنوبية الشرقية لنهر الفيزير ممرات تحت الأرض كانت توصل إلي قلعة لاسكو للهرب منها عند الضرورة وذهب الأصدقاء الأربعة ومعهم كلب ينتمي إلي أحدهم في صباح يوم ١٢ سبتمبر ١٩٤٠ وهناك روايتان رواية تقول أن الكلب قد اختفي وبالبحث عنه وجد أنه نزل إلي فتحة موجودة في باطن الأرض وبالوصول إليه تم اكتشاف الكهف، والرواية الأخرى وفيها يقول المتخصصون أن الكلب ام يقم بهذا الدور ولكنه كان معهم غند اكتشافهم لهذا الكهف، وقد نزل أحد الأصدقاء في الفتحة التي أوصلته بدورها إلي فتحة أخرى بداخل الكهف وعندما أضاء بطاريته الصغيرة شاهد حيواناً هائلاً من خلال الظلام المحيط به لونه أحمر زاه وما وراءه باهت اللون ثم شاهد حيوانات أخرى عديدة فنادى علي أصدقائه وكانت بداية كشف كهف لاسكو وقد زار الأنبا بروي كهف لاسكو وهو الاسم الذي أطلق عليه لوجوده في منطقة لاسكو بعد اكتشافه بعده أيام وأكد أن ما شاهده علي جدران وسقف هذا الكهف من حيوانات عاشت في العصر الجليدي الرابع فهو دليل ملموس لحضرة هذا الإنسان ونمو فكره الحضاري والفني.

---

[٢٥] أنظر: Gregory Curtis, *The Cave Painters: Probing the Mysteries of the World's First Artists*. New York: Alfred A. Knopf, 2006; R. Dale Guthrie, *The Nature of Prehistoric Art*. Chicago: University of Chicago Press, 2006.

وفي ١٤ يوليو ١٩٤٨ تم افتتاح الكهف رسمياً للزيارة حيث شيدت الحكومة الفرنسية مدخلاً للكهف واصبح مزاراًكبيراً، ولكن بسبب الأعداء الكبيرة من الزائرين (حوالي٦٠٠ شخص يوميا) أدي إلي سقوط الألوان بسبب تكاثف الماء علي الجدران نتيجة الهواء الدافئ الناتج عن تنفس الزائرين وتلامسه مع جدران الكهف الباردة وفي ١٩٥٨ تم ادخال بظام لتجديد الهواء داخل الكهف.



شكل ١٥ إحدى مناظر كهف لاسكو في فرنسا من العصر المجداليني الأوسط حوالي ١٥٠٠٠ ق.م تمثل ثلاثة خيول لونت بالأسود ورسمت بشكل جيد ضمن مجموعة أخرى من رسوم عديدة لحيوانات ذلك العصر



شكل ١٦ إحدى مناظر كهف لاسكو في فرنسا من العصر المجداليني الأوسط حوالي ١٥٠٠٠ ق.م يمثل يزون قد بقرت بطنه بحربة صياد وقد ظهر الصياد ملقياً على الأرض بتصوير غير جيد لا يتفق وتصوير البيزون، بجواره سهم وعصا يعلوها شكل طائر



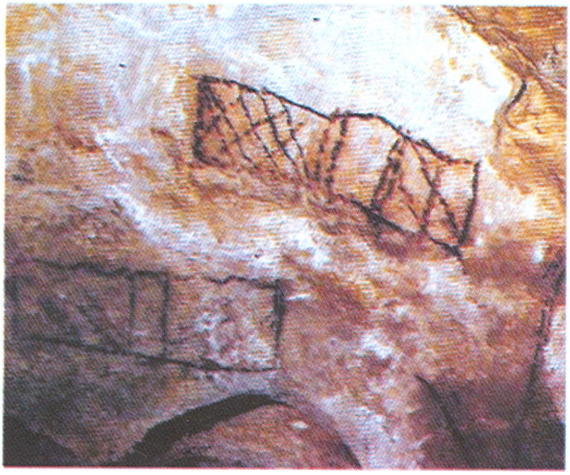
شكل ١٧ إحدى مناظر كهف لاسكو في فرنسا من العصر المجداليني الأوسط حوالي ١٥٠٠٠ ق.م يمثل مجموعة من الخيل والبقر

ومن أشهر كهوف أوربا في العصر المجداليني أيضاً كهف ألتاميرا في أسبانيا الذي عثر عليه عام ١٨٦٨م، وهو يتكون من مجموعة من القاعات الكبيرة ويصل طوله إلى ٢٨٠ متر بها ما يقرب من ١٥٠ منظر تعد من روائع ما عرف من فنون إنسان الكهوف في العصر المجداليني ويؤرخ هذا الكهف بحوالي ١٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد[٢٦].



شكل ١٨ أحد مناظر كهف ألتاميرا بأسبانيا من العصر المجداليني الأعلى حوالي ١٢٠٠٠ ق.م وهي تمثل حيوان البيزون وهو ثور وحشي منقرض

[٢٦] أنظر : سيد توفيق، تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، القاهرة ١٩٨٧، ص ٥٤-٦٤، و حسن الباشا، الفنون البدائية، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٩-٢٦ ، أنظر أيضاً: http://de.wikipedia.org/wiki/H%C3%B6hle_von_Altamira.



شكل ١٩ رسم شباك صيد من كهف ألتاميرا بأسبانيا من العصر المجداليني الأعلى حوالي ١٢٠٠٠ ق.م

الفصل الثاني

آثار ما قبل التاريخ في مصر

يمثل العصر الحجري الوسيط المرحلة الوسيطة بين العصرين الحجريين القديم والحديث ، وإن كان أغلب الباحثين لا يعترفون بهذا العصر في مصر ويعتبرونه امتداد للعصر الحجري القديم الأعلى ، وقد نسبت لذلك العصر بعض أدوات حجرية عثر عليها بوادي الشيخ شرقي مغاغة[٢٧] . إلا إنه يمكن القول بأنة عصر حاول فيه الإنسان إلى تحسين حالته وتحسين أدواته ما استطاع لذلك سبيلا .

ويبدأ هذا العصر من عصر الهلوسين وينقسم إلى:

- الحضارة الكيبارانية (Kebaran culture)
- الحضارة الناطوفية (Natufian culture)

أما العصر الحجري الحديث هو أخر العصور الحجرية ويتميز بإكتشاف الزراعة وتطور الصناعات الحجرية لتواكب نهضة العصر الحجري الحديث، وينتهي بإكتشاف النحاس وبداية العصر النحاسي الحجري أو عصر إكتشاف المعادن.

وبدأ العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأدنى القديم أولاً فقد بدأ في فلسطين حوالي ٨٥٠٠ ق.م والتي تطورت مباشرة من الحضارة الناطوفية (١١٠٠٠-٨٥٠٠ ق.م) في العصر الحجري الوسيط أو عصر ما بعد الحجري القديم، واستخدام أهل الحضارة النطوفية النباتات البرية في منطقتهم أولاً ثم تحولوا إلى مزارعين ليبدأ عصرهم الحجري الحديث فيما بين ٨٥٠٠-٨٠٠٠ ق.م، ثم إنتشرت بعد ذلك حضارات العصر الحجري الحديث في الأناضول وفي بلاد النهرين ومصر، وكانت معرفة الزراعة محدودة بعدة نباتات كالقمح والشعير وكذلك بتربية الأغنام، ثم عرفت تربية الماشية والخنازير حوالي ٧٠٠٠ ق.م، وعرف إنسان هذا العصر صناعة بيته من الطوب اللبن، وعرف أيضاً عادة دفن الموتى، ثم تلا ذلك الصناعات القائمة على الزراعة وكان أهمها صناعة الأواني الفخارية في النصف الأول من الألف السادس قبل الميلاد، لذلك يقسم العصر الحجري الحديث إلى ثلاث فترات هي العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) الذي يبدأ فيما بين ٨٥٠٠-٨٠٠٠ ق.م، والعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) ويبدأ فيما بين ٧٥٠٠-٧٠٠٠ ق.م، وأخيراً العصر الحجري الحديث وصناعة

---

[٢٧] المرجع السابق ، ص ٧٤ .

الفخار ويبدأ قيما بين ٦٠٠٠-٥٥٠٠ ق.م وأهم المناطق الحضارية لها حضارة حلفا في شمال بلاد النهرين والعبيد جنوب العراق وحضارتي الفيوم ومرمدة بني سلامة في مصر.

وتأخر إكتشاف الزراعة وبداية العصر الحجري الحديث في أوربا عن منطقة الشرق الأدنى القديم ومصر، فبدأ في جنوب أوربا حوالي ٧٠٠٠ ق.م، وفي وسطها حوالي ٥٥٠٠ ق.م، ثم إنتشرت إلى شمال وغرب أوربا حوالي ٤٥٠٠ ق.م، أما أقدم عصر حجري حديث في جنوب أسيا فهي حضارة مهرجارا (Mehrgarh) في باكستان حوالي ٧٠٠٠ ق.م، وفي شرق أسيا حضارة بنجتوشان (Pengtoushan) فيما بين ٧٥٠٠-٦١٠٠ ق.م وحضارة بيليجانج (Peiligang) فيما بين ٧٠٠٠-٥٠٠٠ ق.م.

كان إنسان العصر الحجري الحديث خاصة في مناطق بلاد الشام والأناضول وشمال سوريا وبلاد ما بين النهرين ، وآسيا الوسطى مزارع ماهر وقادر على تصنيع الأدوات اللازمة للزراعة والحصاد واستغلال وتخزين الحبوب مثل المنجل ومطحنة الحبوب والأواني الفخارية والسلال والعديد من الأدوات الحجرية أو المصنوعة من العاج والعظم وكذلك وجدت أنواع من الحلي وأدوات الزينة المصنوعة من الحجر والعظم والأصداف والخرز، وعرف إنسان هذا العصر نحت وتشكيل التماثيل، وعرف استخدام الطين كلبنة لبناء البيوت والقرى[٢٨].

أما العصر الحجري الحديث في مصر والذي يعد بالفعل أول العصور الحضارية الذي تبلور فيه خلاصة تجارب الإنسان طوال العصور الحجرية السابقة له، ومن أهم آثار هذا العصر الأواني الفخارية التي لاقت اهتماماً كبيراً من إنسان ذلك العصر وتطورت وتنوعت أشكالها حتى عصر بداية الأسرات وهي المادة الأساسية في دراسة هذه العصور وتحديد تواريخها ومعرفة المظاهر البيئية لها، وعرفت مصر في العصر الحجري الحديث نشاطاً بشرياً جديداً أدى إلى ظهور التجمعات العمرانية حول الشريط الضيق لوادي النيل[٢٩] ومن أشهر هذه المجتمعات:

---

[٢٨] أنظر: Peter Bellwood, *First Farmers: The Origins of Agricultural Societies*. Blackwell Publishers (2004).
وكذلك http://en.wikipedia.org/wiki/Olduwan; http://en.wikipedia.org/wiki/Magdalenian ;
http://en.wikipedia.org/wiki/Paleolithic ; http://en.wikipedia.org/wiki/Neolithic

[٢٩] رشيد الناضوري ، *دراسات مقارنة في حضارات مصر وغربي آسيا من عصور ما قبل وقبيل الأسرات حتى بداية النصف الثاني من الألف الأول ق.م* ، الاسكندرية ١٩٥٦.

١. الفيوم وتقع إلى الشمال من بحيرة الفيوم وكشف عنها كيتون-تومبسون G. Caton-Thompson وجاردينر E. W. Gardner فيما بين ١٩٢٤ و ١٩٢٨م، وتؤرخ بأوائل الألف السادس قبل الميلاد[٣٠].

٢. مرمدة بني سلامة وهي تقع حوالي ٥١ كم شمال غرب القاهرة، وقد أكتشفها هرمان يونكر Hermann Junker عام ١٩٢٨م، وتؤرخ بمنتصف الألف السادس قبل الميلاد[٣١].

٣. دير تاسا تقع شرق النيل ١٣ كم غرب أبو تيج بمحافظة أسيوط وقد كشف عنها سامي جبرة وبرونتون Guy Brunton عام ١٩٢٧م، وتؤرخ بنهاية الألف السادس وأوائل الخامس قبل الميلاد[٣٢].

أما العصر النحاسي الحجري وهو عصر عرف فيه استخراج معدن النحاس وصنعت منه أدوات صغيرة جنباً إلى جنب مع الأدوات الحجرية لذلك أطلق عليه العصر النحاسي الحجري كما عرف أيضاً بعصر بداية المعادن، وهو العصر الممتد حتى بداية العصر التاريخي وبداية الأسرات المصرية ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى:

١. حضارة البداري (حوالي ٤٤٠٠-٤٠٠٠ ق . م) وهي تقع شرق النيل حوالي ٣٠ كم جنوب أسيوط، وكشف عنها كيتون-تومبسون G. Caton-Thompson وبرونتون Guy Brunton فيما بين ١٩٢٢ و١٩٢٥م[٣٣].

٢. عصر ما قبل الأسرات

وهي حقبة حضارية تنتمي تقسيماً للعصر النحاسي الحجري إلا أنها كانت أكثر تطوراً في شتى مجلات الحياة، كما تبلورت فيها المقومات التي أدت إلى العصور التاريخية التي أعقبتها مباشرة، حيث أنة تكونت أثناء تلك الفترة المبادئ والتقاليد السياسية والاقتصادية والدينية التي كانت بمثابة الأسس الرئيسية للحضارة المصرية القديمة في عصورها التاريخية، وقد دامت هذه الفترة حوالي ٤٠٠٠ – ٣٠٨٠ ق.م،

---

[٣٠] راجع : بياتريكس ميدان رينيس، *عصور ما قبل التاريخ في مصر*، ص ١٤٥-١٥٥؛ Gertrude Caton-Thompson and E. W. Gardner, *The desert Fayum*, Vol. 1-2 , Royal Anthropological Institute, London 1934; Id., Recent work on the problem of Lake Moeris, in: *GJ* 73 (1929), pp. 20-58.

[٣١] راجع : بياتريكس ميدان رينيس، *عصور ما قبل التاريخ في مصر*، ص ١٥٦-١٦٨؛ Hermann Junker, *Vorläufiger Bericht über die Grabung der Akademie der Wissenschaften in Wien auf der Vorgeschichtlichen Siedelung von Merimde-Benisalame*, 1-7, Wien 1929-1940; Michael A. Hoffman, *Egypt before the Pharaohs*, New York 1984, pp. 167-181; J. Eiwanger, *Merimde- Banisalame I. Die Funde der Urschicht; und II. Die Funde der mittleren Merimdekultur*, Mainz, 1984, 1988.

[٣٢] راجع : Guy Brunton, *Mostagedda and the Tasian culture,* British Museum Expedition to Middle Egypt, years 1/2 (1928/1929), London 1937; Sami Gabra, Fouilles du Service des Antiquités à Deir Tassa, in: *ASAE* 30 (1930), pp. 147-158; J. Vandier, *Manuel d'archéologie Égyptienne*, I, Paris 1952, pp. 167-180.

[٣٣] راجع : بياتريكس ميدان رينيس، *عصور ما قبل التاريخ في مصر*، ص ٢٠٨- ٢٢٤؛ Guy Brunton and Gertrude Caton-Thompson, *The Badarian civilisation and predynastic remains near Badari*, London 1928; Guy Brunton, Qau and Badari I-III, *BSAE* 44 (1927), 45 (1928), 50 (1930).

إلا أنة كان هناك اختلاف وتفاوت في المستوى الحضاري المادي والفكري بين مجتمعات تلك الفترة مما يدفع الباحثين في تلك المرحلة الحضارية إلى تقسيمها تقسيماً زمنياً وإقليمياً[٣٤] كما يلي:

١. نقادة الأولى (حوالي ٤٠٠٠ - ٣٦٠٠ ق.م)، وتقع نقادة حوالي ٢٧ كم شمال الأقصر غرب النيل، وحفر بها كل من وليام فلندرز بتري William M. Flinders Petrie وجمس إدوارد كويبل James Edward Quibell فيما بين ١٨٩٤-١٨٩٥م وقد امتدت هذه الحضارة في أغلب صعيد مصر[٣٥].

٢. نقادة الثانية (حوالي ٣٦٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م) وهي حضارة متطورة لاحقة لنقادة الأولى ويطلق عليها أيضاً حضارة جرزة نسبة إلى قرية جرزة والتي تقع شمال أبو صير الملق ببني سويف. وقد انتشرت هذه الحضارة حتى منطقة النوبة السفلى جنوباً وحتى المعادي شمالاً[٣٦].

٣. حضارة المعادي[٣٧] (حوالي ٣٢٠٠ - ٣٠٨٠ ق.م) وانتشرت مظاهر هذه الحضارة في مصر كلها، وفي هذا العصر تطورت الحياة الاجتماعية والسياسية والفنية بشكل سريع أدى إلى ظهور مملكتين واحدة في الشمال وعاصمتها بوتو في وسط الدلتا والثانية في الجنوب وعاصمتها الكاب ثم انتقلت إلى أبيدوس والتي يعرف ملوكها بملوك الأسرة صفر اللذين أخذوا على عاتقهم توحيد شطري مصر في مملكة واحدة.

وتعددت المظاهر الحضارية المرتبطة بهذا النشاط البشري الجديد الذي بدأ مع العصر الحجري الحديث ويمكن حصر هذه المظاهر في النقاط التالية[٣٨] :

١- الزراعة . وهو أهم حدث حضاري عرفه الإنسان لما ترتب علية من استقرار في المعيشة وتكوين القرية وظهور المجتمع المنظم ، وبالتالي تقدم ورقي في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية أيضاً بما يتفق وذلك العصر . وقد عرفت حرفة الزراعة في جميع مناطق حضارات العصر الحجري الحديث في مصر .

٢- استئناس الحيوان ورعيه . وقد وجدت مخلفات للماشية والخنازير في الفيوم ومرمدة بني سلامة .

---

[٣٤] اختلف العلماء في تفسير أصول حضارات تلك المرحلة وعلاقتها الحضارية والسياسية ببعضها البعض ، فمنهم من يرى وجود تأثيرات خارجية من الشرق الأدنى القديم أو من الجنوب النوبي أو من الغرب الليبي ، ومنهم من يرى أنها حضارات محلية اتخذت أصولها ومقوماتها من بيئتها . ولا تزال هذه المشاكل محل دراسة الباحثين في ضوء الأدلة الأثرية والاكتشافات الحديثة .

[٣٥] راجع : بياتريكس ميدان رينيس، عصور ما قبل التاريخ في مصر، ص ٢٣١- ٢٤٨؛ W. M. Flinders Petrie and J. E. Quibell, *Naqada and Ballas*, London 1896

[٣٦] أنظر : عبد العزيز صالح ، *المرجع السابق* ، ص ١٥٦ - ١٧٨، بياتريكس ميدان رينيس، *عصور ما قبل التاريخ في مصر*، ص ٢٤٩- ٢٧٤.

[٣٧] أنظر : بياتريكس ميدان رينيس، *عصور ما قبل التاريخ في مصر*، ص ٢٧٤- ٢٨٠.

[٣٨] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٧٨ - ٩٢ .

٣- تطور الأدوات الحجرية . فقد تطورت صناعة الأدوات الحجرية في أحجامها وأشكالها بما يلائم الحياة الجديدة . فصقلت أسطحها صقلاً كاملاً وشطفت الحواف شطفاً كاملاً ، وظهرت أدوات جديدة كرؤوس القواديم والفؤوس التي كانت تثبت في أيد خشبية وتربط بجلد الماعز . وظهرت أيضاً أسنان المناجل التي كانت عبارة عن قطع صغيرة مشرشرة من الظران ترص بجانب بعضها البعض في تجويف يمتد بطول يد خشبية طويلة ، وتثبت فيه بمادة لزجة كالصمغ أو الراتنج . كما تنوعت رؤوس السهام فظهر منها المفرطح والمشرشر الحواف ، ومنها ذو لسان تثبيت عند قاعدته وبعضها مقعر القاعدة . وظهرت مناشير دقيقة من الظران وكذلك مخارز وإبر طويلة ورفيعة من العظم والظران لثقب الخرز وتشبيك الملابس سواء كانت من الجلد أو من الكتان .

كما ظهرت أيضاً مقامع القتال والتي تعتبر أداة حرب عرفت بأشكال كمثرية أو كرية من الحجر مثقوبة ومثبتة في يد قصيرة وغليظة من الخشب .

٤- صناعة الفخار . فقد اهتدى إنسان وادي النيل إلى صلاحية الطمي لصناعة الأواني وخاصة بعد حرقة . وكانت في بدايتها أواني بسيطة خشنة تتناسب ومتطلبات الحياة المحدودة . ثم زادت أشكالها ، وأدخل عليها عناصر زخرفية تتناسب والذوق الفني ، وتطورت بما يتفق والمجتمع الحضاري الذي تمثله .

٥- نسج الكتان والحصير وجدل السلال والحبال . وهي صناعات مرت بمراحل طويلة من الملاحظة والتفكير والتجربة ، وقد مهدت هذه الصناعات لبعضها البعض .

وتعددت المواطن الحضارية للعصر الحجري الحديث في مصر ، والذي كانت بدايته مع منتصف الألف السادس قبل الميلاد . وانتشرت شمالاً وجنوباً بالقرب من وادي النبل ، وأهمها حضارة مرمدة بني سلامة شمال محافظة الجيزة ، حوالي ٥١كم شمال غرب القاهرة ، وحضارة حلوان جنوب القاهرة، وحضارة الفيوم ، وحضارة دير تاسا شرق النيل بالقرب من البداري بمحافظة أسيوط .

وسنكتفي هنا بالحديث عن آثار حضارة مرمدة بني سلامة كنموذج لحضارات ذلك العصر من الشمال ، وحضارة دير تاسا كنموذج حضاري لجنوب مصر .

استعمل أهل مرمدة مناجل من الظران ، كما استخدموا سكاكين من الظران وفؤوس القتال ، وكذلك السهام ودبابيس القتال ، كما استعملوا حراب وسنانير وابر ومثاقب مصنوعة من العظم . وعرف أهل مرمدة أيضاً أدوات الزينة ، فقد عثر على عقود من المحار أو أسنان الخنزير البري ، وحلقات من العاج ، وكذلك على بعض حبات من الخرز وخواتم وأساور من العظم وأيضاً على أصداف مثقوبة[٣٩] .

وحيث أن " صناعة الفخار " من أهم سمات العصر الحجري الحديث ، فقد وجدنا في مرمدة صناعة فخارية بدائية خشنة غير مصقولة ، لم يُشكّل عليها أي مناظر زخرفية في بادئ الأمر ، ثم عرف بعضها بزخارف ذات حزوز تشبه شوك السمك، وكان لبعضها نتوءات حول حوافها أو مقابض جانبية إما لحملها وإما لتزينها ، كما وجد لبعضها ثقوباً خشنة عند حوافها لتعليقها منها . كما كان لبعضها قواعد ، فقد عثر على إناء شكلت قاعدته على شكل قدم آدمية ، بالإضافة إلى أنهم صنعوا أواني صغيرة مزدوجة ، مما يشير إلى الذوق الرفيع على الرغم من أنها كانت بداية صناعة الفخار ، وعثر أيضاً على شكل من الطين الصلصال (الفخار)، مثل على هيئة جذع يعتقد أنه جذع لسيدة . وعثر أيضاً على نموذج صغير لقارب من الفخار يعتبر من أقدم الشواهد على أن المصري القديم قد عرف ركوب النيل منذ العصر الحجري الحديث .

ومن الحفائر التي قام بها المعهد الألماني للآثار الشرقية عثر على رأس من الفخار. اعتقد البعض أنها رأس لكبير (شيخ القبيلة ، الحاكم ، المعبود) . وهي تشكيل من الفخار لرأس شكل بها تجويف للعينين والأنف والفم ، ويرى أعلى الرأس ثقوب يعتقد أنها لتثبيت جدائل من الطين تشبه الشعر (أنه صنع لها باروكة شعر) . وأسفل الرأس عند الرقبة يوجد ثقب مما يدلل على أن تلك الرأس كانت مثبتة على ساق خشبية . مما يشير إلى أنها كانت مثبتة في ساحة أو مكان ما يعتقد أنه أصل المعبد المصري ، أو أنها كانت مثبتة في الساحة الرئيسية كلواء أو شارة لهذا المجتمع أمام بيت الحاكم (شيخ القبيلة ، رئيس العشيرة) وبذلك يمكن القول بأن المصري القديم في حضارة مرمدة بني سلامة قد عرف الدين .

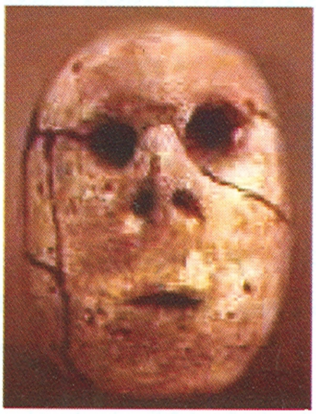
وقد دلت حفائر يونكر على وجود آثار مواقد للنار من بداية مراحل العمران الأولى في مرمدة بني سلامة وقد ضاعت آثار مساكنها تماماً ، بالإضافة إلى نوعين من المساكن . اتخذ النوع الأول منها هيئة بيضاوية الشكل، يقع جزء منها تحت مستوى سطح الأرض ، وشكلت جدرانها بكتل

[٣٩] سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

طينية ترتفع عن الأرض بأكثر من المتر بقليل ، وكان يسقف المسكن بعد ذلك بالحصير أو الجلد . وقد كانت في مجملها بيوت صغيرة الحجم تتراوح مساحتها بين ١ متر × ١.٥ متر وبين ٢ متر × ٣.٢٠ متر . ولم تكن لهذه البيوت البسيطة مداخل جانبية إنما كان ينزل إليها أصحابها بدرجة بسيطة كانوا يبنوها من الطين أو استخدموا بدلاً من الطين عظمة من ساق فرس النهر أو قطعة من ساق شجرة كانت تثبت مائلة على الجدار من الداخل أو الخارج[٤٠] .



شكل ٢٠ كسرة من فخار مرمدة بني سلامة



شكل ٢١ رأس من الفخار من مرمدة بني سلامة

[٤٠] أنظر J. Vandier, op. cit., 111-112.

ومن أهم المقابر التاسية التي عثر عليها المقبرة التي رقمها برونتون برقم ٢٤٨٠ وهي مقبرة لسيدة تحتضن طفلها الرضيع ، وضعت رأسها على وسادة من القش، وكفن جسدها بحصير ، ووضع بجوار رأسها لوحة صغيرة من الألباستر مستطيلة الشكل ، ظهرت آثار مسحوق أخضر على أحد وجهيها ، وآثار مسحوق أحمر على وجهها الأخر ، ووجد معها حصاة صغيرة من الفلسبار ، استخدمت في سحق اللونين الأخضر والأحمر ، كما عثر أيضاً على خرزة كبيرة من الألباستر وملعقة صغيرة من العاج ، وإناء من الفخار وجد بجوار ركبتها ، وعصا مدببة صغيرة من العاج ، بينما وجد على جسد الطفل ملعقة أخرى من العاج وعقد من ثماني عشر ودعة .

وبالتعقيب على هذه المقبرة وما وجد فيها بالإضافة لما عثر عليه في المقابر الأخرى في دير تاسا، يمكننا عمل تصور لعادات وعقائد المجتمع التاسي ، والتي يمكن تفيدها كما يلي :

١- التكفين : فقد عرف التكفين اعتباراً من عصر دير تاسا على أقل تقدير . وقد استخدم التاسيون الحصير في التكفين كما هو الحال مع صاحبة المقبرة ٢٤٨٠ ، بالإضافة إلى استخدام الجلد والكتان ، كما استخدموا أيضاً الكتان مع الحصير ، أو الجلد مع الحصير ، أو كتان وجلد وحصير . وبطبيعة الحال ارتبط الأسلوب المتبع في التكفين بثراء المتوفى، فقد عثر برونتون في إحدى المقابر على سيدة عجوز مكفنة في سبعة جلود ووضع معها إناء صغير ثم غطيت العجوز والجلود والإناء بفراء كبيرة لكبش .

٢- أدوات الزينة : وقد عرف التاسيون وخاصة المرأة الزينة والتزين ، فقد وجدت لوحات صغيرة من الألباستر أو من الحجر الجيري كانت تستخدم لصحن الكحل والمغرة الحمراء وهما مادتان عرفتا في تزين المرأة ، بالإضافة لما وجد في مقبرة السيدة من الملاعق العاجية ، وكذلك الخرزة الألباستر والتي ربما كانت جزءً من قلادة ، وأيضاً قلادة الودع التي وجدت على جسد الطفل . كما تضمنت المقابر التاسية عدداً لا بأس به من الحلي التي صنعها أصحابها من العاج والعظم والقواقع والحصوات الحجرية الصغيرة، والتي تزين بها الرجال والنساء والأطفال على حد سواء .

٣- الأثاث الجنائزي : إن ما وجد من متاع في المقابر التاسية كأواني فخارية ، وأدوات زينة كلوحات سحق مساحيق التجميل ، وحلي ، وأدوات صيد ، وغيرها من المتاع الشخصي لأصحابها ليعد في مجملة أدوات وأشياء رغب صاحبها في اقتناءها إما باعتبارها أشياء محببة له أراد أن تصاحبه في العالم الآخر ، وإما اعتبرها أشياء ضرورية يحتاج إليها

لينتفع بها في العالم الآخر ، وهي بذلك تعد أثاثاً جنائزياً في مراحله الأولى ، حيث لم ينضج الفكر الديني والعقائد الجنائزية بعد .

كما عثر في بعض المقابر التاسية على ما يمكن أن يعتبر الشكل الأول للتابوت وهو عبارة عن سلة مستطيلة من البوص والأغصان يغطيها حصير وكان يوسد فيها طفل[٤١].

وشهدت صناعة الفخار في دير تاسا تنوعاً وتميزاً ملحوظاً ، فقد صنع التاسيون نوعاً من الفخار شكل إلى هيئة زهرة التيوليب ، أخذ بعضها اللون الأسود المصقول . وقد زخرفت أوانيهم بزخارف عديدة، منها تموجات أو حزوز بسيطة مستقيمة أو مائلة ربما شكلت بأمشاط صغيرة أو بقطع من الليف بالإضافة إلى أشكال هندسية المستطيل أو المثلث ، كما حفرت بعض هذه الزخارف وملأت بعجائن بيضاء تشبه الجبس ، وشكل بعضها الأخر بنقط محفورة متجاورة ملأت هي الأخرى بنفس النوع من العجائن البيضاء. وبالتالي اتسمت هذه الأواني بالمهارة والذوق الرفيع ، حتى أن التاسيين حرصوا على ترميم أوانيهم وإصلاحها إذا ما تشققت أو كسرت .



شكل ٢٢ نماذج من فخار دير تاسا

[٤١] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

العصر النحاسي الحجري

وهو عصر عرف فيه استخراج معدن النحاس وصنعت منه أدوات صغيرة جنباً إلى جنب مع الأدوات الحجرية لذلك أطلق عليه العصر النحاسي الحجري كما عرف أيضاً بعصر بداية المعادن . وأقدم حضارات هذا العصر هى حضارة البداري ، ثم تلاها عصر ما قبل الأسرات .

حضارة البداري: (حوالي ٤٥٠٠ ق . م)

وقد عثر ضمن محتويات مقابرهم على ملاعق من العاج اتخذت تجاويفها أشكال المستطيل أو المربع أو الشكل البيضوي ، كما شكلت مقابضها بأشكال حيوانية وحلزونية مختلفة تدل على الذوق الرفيع لأصحابها .

وأهتم البداريون بصناعة الفخار فظهرت أنواع عديدة منها أواني منتفخة ، واستخدموا فخار أسود مصقول ، وفخار عرف بالفخار ذو الحافة السوداء ، واعتنوا برقة جدران أوانيهم . وقد استفادوا من زخرفة الفخار التاسي في تحلية الجدران الخارجية بخدوش دقيقة وتموجات بسيطة ، بالإضافة إلى بعض الأشكال الهندسية المتجانسة ، إلا أنهم أضافوا زخارف داخلية ، فقد زينوا قيعان الأواني بأشكال نباتية كسنابل الغلال ونسيج الحصير، وخطوط متقاطعة تشبه ما يطلق عليه اصطلاحاً الصليب الملطي . كما ظهرت زخارف لينة تشبه أوراق الشجر وغصون النباتات ولفات الحبال ، أما الزخارف الغائرة على سطوح الفخار فقد اكتفوا بحفرها بعمق بسيط لا تلحظه العين إلا بالتدقيق .

ولقد عرف البداريون صيد الطيور المائية ، ويستدل على ذلك من عصا الرماية المعقوفة وهي مصنوعة من الخشب ، وقد وجد منها اثنان في مقابرهم . وهي نفسها العصا المعروفة لدى المصريين طوال عصورهم التاريخية القديمة وكثر تصويرها على جدران المقابر في مناظر الصيد طوال العصور الفرعونية . ويعتقد على رضوان أنها كانت تمثل عصا سحرية أو صولجان يرجى به دفع الشر، وكانت تستخدم في بعض الشعائر الدينية في حياتهم اليومية[٤٢] .

ومن اللطيف أن زودت بعض المقابر بتماثيل نساء صغيرة ، فقد عثر على سبع تماثيل صغيرة ، أربعة منها شكلت من الطين ، واثنان من الفخار ، وواحد من العاج ، ويعتقد أن بعضها كان من المقتنيات الشخصية لأصحابها ، وربما رمز بعضها الآخر إلي رغبة أصحابها في اصطحاب الإماء والجواري معهم في العالم الآخر[٤٣] .كما يمكن أن تكون تماثيل النساء ذات علاقة وثيقة

---

[٤٢] علي رضوان ، الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات في مصر ، جامعة القاهرة ١٩٩٠/ ١٩٩١ ، ص ٤٥ .

[٤٣] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١١٩ ، ١٢٣ – ١٢٤ .

بالديانة ، وخاصة أن فكرة الدين والعقيدة واضحة في حضارة البداري ، وتماثيل المرأة يجسد آلهة الأمومة[٤٤] .

بالإضافة إلى تطور الأدوات الحجرية وخاصة رؤوس السهام. وكذلك عثر في البداري على مجموعة من الخطاطيف بعضها من الصدف وبعضها الأخر من العظم وكذلك بعض المخارز العظمية .



شكل ٢٣ نماذج من فخار البداري



شكل ٢٥ رؤوس سهام من البداري



شكل ٢٤ تمثال لسيدة من العاج – البداري



شكل ٢٦ رؤوس سهام من البداري

[٤٤] رشيد الناضوري ، المرجع السابق ، ص ٣٦.

عصر ما قبل الأسرات

وهي حقبة حضارية تنتمي تقسيماً للعصر النحاسي الحجري إلا أنها كانت أكثر تطوراً في شتى مجلات الحياة ، كما تبلورت فيها المقومات التي أدت إلى العصور التاريخية والتي أعقبتها مباشرة ، حيث أنة تكونت أثناء تلك الفترة المبادئ والتقاليد السياسية والاقتصادية والدينية التي كانت بمثابة الأسس الرئيسية للحضارة المصرية القديمة في عصورها التاريخية ، وبذلك تعتبر من أهم مراحل تاريخ الإنسان لأنها خلاصة تجاربه على مدار العصور الحجرية الطويلة السابقة، ويقصد بهذا العصر تحديداً الحقبة الزمنية بين عصر البداري وعصر بداية الأسرات المصرية والذي تزامن وبداية العصر التاريخي أيضاً ، وقد دامت هذه الفترة قرابة ألف سنة حوالي ٤٠٠٠ – ٣٠٠٠ ق . م ، إلا أنة كان هناك اختلاف وتفاوت في المستوى الحضاري المادي والفكري بين مجتمعات تلك الفترة مما يدفع الباحثين في تلك المرحلة الحضارية إلى تقسيمها تقسيماً زمنياً وإقليمياً[٤٥] . ويشمل هذا العصر في مصر بصفة خاصة حضارتي نقادة الأولى والثانية في الصعيد وحضارة المعادي في الدلتا .

أولاً : نقادة الأولى (حوالي ٤٠٠٠ – ٣٦٠٠ ق . م)

وقد استمر التطور الحضاري من بعد البداري ليصل إلى مرحلة من الرقي في شتى مجالات الحياة ، فزاد أهل نقادة من استخدام النحاس ، وارتقوا بمساكنهم وعادات دفنهم ، وفخارهم وصناعاتهم ، وكذلك بفنون النقش .

واستخدم أهل نقادة أنواع عديدة من الفخار ، منها الفخار الأحمر المصقول ، والفخار الأحمر ذي الحافة السوداء ، والفخار ذي الزخارف البيضاء ، وقد تنوعت هذه الزخارف فمنها زخارف شبة هندسية ، ورسومات بشرية ، وحيوانية ، ونباتية . وكان أكثر فخارهم شيوعاً هو الفخار ذو الخطوط البيضاء المتقاطعة وقد انتشر هذا النوع في الصعيد ، وقد صاحب زخرفة هذه الأواني زخارف هندسية مثل الخطوط المتموجة أو الزجزاجية ، أو الخطوط المتقاطعة داخل مستطيل أو على هيئة آهلة داخل مثلثات أو مثلثات صغيرة تتصل ببعضها البعض وقد تملأ في بعض الأحيان بمادة بيضاء.

---

[٤٥] اختلف العلماء في تفسير أصول حضارات تلك المرحلة وعلاقاتها الحضارية والسياسية ببعضها البعض ، فمنهم من يرى وجود تأثيرات خارجية من الشرق الأدنى القديم أو من الجنوب النوبي أو من الغرب الليبي ، ومنهم من يرى أنها حضارات محلية اتخذت أصولها ومقوماتها من بيئتها . ولا تزال هذه المشاكل محل دراسة الباحثين في ضوء الأدلة الأثرية والاكتشافات الحديثة .

كما صنعوا أشكال عديدة من الفخار، وكانت أغلبها متسعة قليلة العمق كـالطواجن والصـحون ، وبعضها عميقة ضيقة مثل الأكواب والكؤوس ، ومنها أواني ذات شعبتين أو ثلاث شعب ، كمـا كان لبعض هذه الأواني قاعدة مرتفعة على هيئة الكأس ، وبعضها بقوائم ثلاث أو أربع[٤٦] .

وقد عبر أهل نقادة بزخارفهم ورسومهم عن جوانب من حياتهم وسـمات حضـارتهم ، وجـرت عادتهم على رسم الصور الآدمية والحيوانية في وحدات مستقلة عن بعضها ، إما فوق بعضها أو بجانب بعضها دون أن تخفي إحداها الأخرى أو تقطعها ، كما صورت الحيوانات ذوات الأربع من الجانب فيما عدا القرنين إذا كانا مقوسين مثل قرني الثور فقد أعتاد على تصويرهما من الأمـام. وأهم الوحدات الزخرفية بجانب الإنسان صور التمساح وفرس النهر والمراكب وأسـماك النيـل والبقرة والكلب والحمار والوعل والفيل والزرافة والثور الوحشي والعقرب وسلحفاة الماء والنمس والثعلب وأبن آوى ، وقد صورت في أشكال سريعة مختصرة وإن تمتعت بالرغم من ذلك بحيوية مقبولة . فقد صوروا راقصين وراقصات فرادى أو في جماعات في حركات شبه تمثيلية ، وزينت رؤوس الرجال منهم بريش طويل ، وقد مثلت المناظر الآدمية بصفة عامـة دون تفصـيل فـي الملامح بخلاف ما صورت علية المناظر الحيوانية من إظهار لتفاصيلها . وكانت مناظر الصـيد سواء كان في البر أو في النهر من أهم المواضيع الممثلة على فخار نقادة الأولى ، كما أعتاد أهل نقادة برسم علامات مفردة ومختصرة لبعض الحيوانات أو النباتات وأحياناً خطـوط مسـتقيمة أو متقاطعة ، ورمزت هذه العلامات إلى أصحابها أو صناعها ، ورمز بعضها إلى معبودات أصحابها ، كما رمز بعضها إلى الأوضاع السياسية في عصره ، فصورت هيئة التاج الأحمـر لأول مـرة على سطح أحد الأواني ، وصوّر أيضاً صقر يقف فوق إطار مستطيل أصبح فيما بعد يرمز إلـى واجهة قصر الحاكم[٤٧] .

وبالإضافة إلى الأواني الفخارية صنع أهل نقادة أواني حجرية وخاصة من البازلـت، اسـتعملوا النحاس في تشكيلها، وقد صنعوها في أشكال عديدة أيضاً فمنها المنتفخ ومنها الضيق وبعضها لـه مقابض، وبعضها له قاعدة مرتفعة على هيئة الكأس[٤٨] .

وقد عثر في مقابرهم على تماثيل صغيرة من الطين أو الفخار أغلبها لنساء ، واللائى كن يمـثلن راقصات أو جواري أراد المتوفى أن تصاحبه في العالم الأخر ، أو كان الغرض من هذه التماثيل أغلب الظن أنها تمثل ربات الأمومة اللائى يتمنى المتوفى أن يسبغن عليه الحماية ويضمن له بعثاً جديداً ، بالإضافة إلى تماثيل أخرى لنساء ورجال صنعت من العاج اتسمت بالنحافة والاسـتطالة والتصاق الساقين ، ربما بما يناسب قطع العاج المستطيلة التي صنعت منها . وكذلك صنع أهـل

---

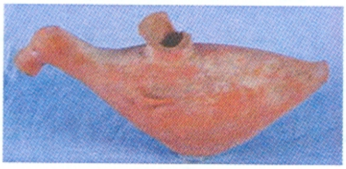
[٤٦] J. Vandier, op. cit, 262f.

[٤٧] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٣٣ – ١٣٨ .

[٤٨] Barbara Adams, Predynastic Egypt, Shire Egyptology 1988, 33 – 34.

نقادة من الصلصال تماثيل أخرى لرجال مثلوا فيها أسرى قيدت سواعدهم خلف ظهورهم ، ومـــن الفخار شكلت مجموعات صغيرة تمثل ما يقوم به الخدم والأتباع .

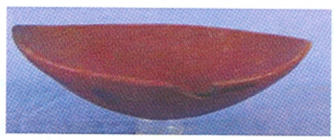
كما عثر في مقابر نقادة الأولى على نماذج مراكب وأمشاط من العاج وحلي كـــالعقود والأســـاور وتمائم حجرية أو عظمية استخدمت كقلادات ومنها ما شكل على هيئة زوج من القرون ومنها ما هو على شكل رأس ثور ، وصلايات من الإردواز شكل بعضها على هيئـــة أفـــراس النهـــر أو سلاحف أو أسماك ، واكتفوا في تشكيلها بتحديد الخطوط العامة للحيوان الذي تشكله ، وقد عثـــر أيضاً على أدوات قتال كمقامع القتال ذات رؤوس على هيئة القرص أو هيئة المخروط تصنع من الحجر وتثبت في يد من الخشب ، بالإضافة إلى خناجر مـــن الظران ، وصنعوا من الظران أيضاً رؤوس سهام وسكاكين رقيقة على هيئة المعين[٤٩] .











شكل ٢٧ نماذج من
فخار نقادة الأولى

[٤٩] راجع : ibid., 38ff. وأيضاً : عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٣٨ – ١٤٦ .

التتابع الزمني :

أثناء فحص فلندرز بتري للمقابر التي عثر عليها في نقادة وما حولها وجد اختلافات عديدة وتنوع كبير في محتويات هذه المقابر مما جعله يفكر في محاولة ترتيب هذه الآثار ترتيباً زمنياً وتقسيمها إلى مراحل متتابعة ، وكان عليه أن يستعين بالأواني الفخارية حيث أنها الأكثر في محتوياتها وصناعتها واستمرار تنوعها ضمن محتويات المقابر إذ أنه لا تخلو مقبرة من مقابر هذا العصر من إناء أو أكثر ، فقام بتصنيف هذه الأواني حسب تطور صنعتها ، وقسمها في تسع مجموعات أساسية رمز لكل منها بحرف اصطلاحي معين ، وهي كالتالي[٥٠] :

١- الفخار ذو الحافة السوداء Black-topped pottery ورمز إليه بحرف B .

٢- الفخار الأحمر المصقول Polished red pottery ورمز إليه بحرف P .

٣- الفخار ذو الأشكال المتنوعة Fancy forms pottery ورمز إليه بحرف F .

٤- الفخار ذو الرسوم البيضاء المتقاطعة White cross-lined pottery ورمز إليه بحرف C.

٥- الفخار الأسود ذو الزخارف البيضاء المحفورة Incised black pottery ورمز إليه بحرف N .

٦- الفخار ذو المقابض المتموجة Wavy-handled pottery ورمز إليه بحرف W .

٧- الفخار ذو الزخارف Decorated ware pottery ورمز إليه بحرف D .

٨- الفخار الخشن Rough-faced pottery ورمز إليه بحرف R .

٩- الفخار المتأخر Late pottery ورمز إليه بحرف L .

ثم أشرك بتري بعض المحتويات الأخرى للمقابر مثل الأواني الحجرية والصلايات في تقسيمات متقاربة ، وخرج من هذا بتقسيم مراحل التطور في آثار نقادة إلى خمسين مرحلة ، وسمى هذا التقسيم بـ "التتابع الزمني" أو "التوقيت المتتابع" Sequence of Date . وبدأ بتري من رقم ٣٠ إلى رقم ٧٩ تاركاً الأرقام من ١ إلى ٢٩ لما يستجد من اكتشافات . ثم قسم المراحل الخمسين إلى ثلاث مجموعات كبيرة ، ونسبت كل مجموعة إلى أهم مكان تركزت فيه آثارها، وهى كالتالي :

١- المراحل من ٣٠ – ٣٧ أو (٣٠ – ٣٨) وتسمى بحضارة العمرة (= نقادة الأولى).

٢- المراحل من ٣٨ – ٦٠ أو (٣٩ – ٦٣) وتسمى بحضارة جرزة (= نقادة الثانية).

---

[٥٠] راجع : J. Vandier, op. cit, 261ff.; Barbara Adams, op. cit., 20ff.; Joan Crowfoot Payne, Catalogue of the Predynastic Egyptian Collection in the Ashmolean Museum, Oxford 1993, 9. وأيضاً : عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ وما بعدها .

٣- المراحل من ٦١ – ٧٨ أو (٦٤ – ٧٨) وتسمى بحضارة سماينة (= نقـادة الثالثة).
وقد أصاب بتري لحد كبير في تقسيماته إلى الرغم من أن بعض العلماء قد عارضه في تبويباته ، وعاب البعض على انه أعتمد أساساً على آثار الصعيد دون عناية بالوجه البحري. فبعـد أن تـم الكشف عن آثار البداري وضعها برونتون في المراحل من ٢٠ إلى ٢٩، ثم اسـتكملت المراحـل العشرين الأولى بما تم الكشف عنة من العصر الحجري الحديث. ثم تأتي المراحل التالية لحضارة سماينة والتي يبدأ بعدها مباشرة عصر الأسرة الأولى الفرعونية .

ثانياً : نقادة الثانية (حوالي ٣٦٠٠ - ٣٤٠٠ ق . م)

هي حضارة متطورة لاحقة لنقادة الأولى ويطلق عليها أيضاً حضارة جرزة نسبة إلى قرية جرزة والتي تقع شمال أبو صير الملق ببني سويف . وقد انتشرت هذه الحضارة حتـى منطقـة النوبة السفلى جنوباً وحتى المعادي شمالاً[٥١] .
وتظهر الخلافات واضحة بين هذا العصر وسابقة فقد توسع النقاديون في استخدام النحاس فصنعوا منه ملاعق وأواني صغيرة وأغطية لبعض القدور وأزاميل ورؤوس فـؤوس وخنـاجر ورؤوس حراب .
وكان أشهر فخار نقادة الثانية شيوعاً هو ما يعرف بالفخار ذي الزخارف الحمراء الذي كثرت فيه الأشكال التصويرية[٥٢] كمناظر الصيد ورحلات نيلية وبالتالي كثر تمثيل المناظر البشرية وأشـكال الحيوانات والطيور وأشكال المراكب متعددة المجاديف والتي تميزت بوجود قمرتين مـن سـيقان الغاب والنبات المجدول ، واختلفت سقوف هذه القمرات فمنها المسطح ومنها النصف دائـري أو ذو القباب ، وكان لكل مركب جريدة نخل طويلة تراوحت فروعها من فرع واحد إلى خمس فروع تستخدم كمظلة يجلس تحتها ملاح المركب ، وتميزت هذه المراكب عن بعضها البعض بظهـور أعلام غريبة[٥٣] ومختلفة تشبه أعلام الأقاليم التي عرفت فيما بعد في العصر الفرعوني .
وقد تميز نوع أخر من الفخار بمقابض متموجة عرف بالفخار ذي المقابض المتموجة ، وكانـت تشكل هذه المقابض على جانبي الإناء عند أعلى منتصف الإناء ، وتميزت مجموعة أخرى بلونها

[٥١] أنظر : عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ – ١٧٨ .
[٥٢] عن أشكال الرسوم والزخارف الممثلة على الأواني الفخارية لنقادة أنظر : لمياء علي شوقي الحديدي ، دراسة مقارنة بين النقوش الصخرية في مصر والنوبة السفلى ورسوم الفخار في المرحلة النقادية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٠ (رسالة ماجستير لم تنشر بعد) .
وأيضاً : J. Vandier, op. cit, 329ff.
[٥٣] J. Vandier, op. cit, 341.

الأحمر مختلف الدرجات ذي زخارف شبكية وأشكال حلزونية ، بالإضافة إلى استمرار استخدام وحدات زخرفية معروفة من نقادة الأولى مثل المثلثات الصغيرة والتي ملأت باللون الأحمر بدلاً من الأبيض ، وكذلك خطوط زجزاجية ومتموجة فردية أو متشابكة . كما ظهرت أشكال نباتية جديدة مثل النبات ذي الشكل المروحي[٥٤] ، وكذلك ظهرت وحدات على شكل حرفي S و Z اللذان يعتقد البعض أنهما يمثلان طيور .

وكانت مواضيع الرعي والصيد البري والنهري ورحلات المراكب متعددة المجاديف من أكثر المواضيع الممثلة على فخار نقادة الثانية . إلا أن هذه المواضيع التصويرية إتسع نطاقها حتى أنه قد عثر على مقبرة في الكوم الأحمر[٥٥] تعد أقدم مقبرة مصورة في الحضارة المصرية ، وتعرف على أنها مقبرة لعظيم تتكون من حجرة واحدة مستطيلة الشكل من الطوب اللبن ، وكسيت الجدران بطبقة من الملاط الأملس المغطى باللون الأصفر كأرضية وخلفية للمناظر التي صورت عليها ، والتي لم يتبقى منها سوى مناظر الجدار الجنوبي الغربي (حوالي ١٩٠ سم)، وتوجد حالياً بالمتحف المصري بالقاهرة . وقد رسم على هذا الجدار ست سفن في صفين تحيط بها مجموعة من الأشكال الآدمية والحيوانية لا تجمعها علاقة واضحة ، وهي في مجملها مناظر قتال ومناظر صيد ومناظر أسطورية ورحلات نهرية تتبع نفس الأسلوب وتتشبه في مواضيعها مع تلك التي كانت تمثل على جدران الأواني الفخارية . وجدير بالذكر ذلك المنظر المصور على الجزء السفلي لهذا الجدار والذي يصور رجل ضخم يقمع ثلاث من الأعداء ، ويعتبر هذا المنظر أقدم مناظر القمع في الحضارة المصرية ، والذي نراه اعتباراً من نعرمر وحتى نهاية العصور الفرعونية ، عندما كان يمثل الملك بشكل ضخم يمسك أسراه بإحدى يديه ويمسك بالأخرى بمقمعة يهوي بها على رؤوس أعدائه . منظر أخر يصور بطل يقف بين أسدين يحاول أن يفصل بينهما أو أنه يحاول أن يصرعهما بيديه ، وهو من المناظر ذات الصلة بحضارة بلاد النهرين مما يشير إلى وجود علاقات ثقافية واقتصادية بين مصر وبلاد النهرين أدت إلى التأثير والتأثر فيما بين الحضارتين .

واستخدم النقاديون إلى جانب أوانيهم الفخارية أواني حجرية متعددة صنعت من أحجار صلبة مثل الديوريت والبازلت والالباستر ، واتخذت أشكال القدور والصحون ، بعضها لها مقابض جانبية مثقوبة[٥٦] . وشكلت بعضها على هيئة الطيور والأسماك والحيوانات والتي أعتقد فيها البعض أنها

---

[٥٤] Ibid., 360.

[٥٥] أنظر : عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ – ١٨٧ ، نادر محمد عبد المجيد بكار ، مظاهر التعبير والإشادة بالنصر في مصر القديمة ، دراسة تحليلية مقارنة في المناظر حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، جامعة جنوب الوادي ١٩٩٥ (رسالة ماجستير لم تنشر بعد) ، ص ١-١٥.

[٥٦] Barbara Adams, Predynastic Egypt, Shire Egyptology 1988, 33f.

بذلك تمثل تقليد لأواني أسيوية حيث وجدت أشباهها في أواني من سوريا والأناضول وإيـران إلا أن الأواني ذات الأشكال الحيوانية معروفة في مصر منذ عصر البداري[٥٧] .

واستخدموا أيضاً صلايات من الاردواز الأخضر شكلت على هيئة طيور واسماك وسلاحف الماء وأفراس النهر والأغنام بالإضافة للأشكال الهندسية مثل المستطيل والمربع والمستدير مع استدارة أركانها وتحلية أطرافها بأشكال طيور ورؤوس حيوانات ، كما نقشت أشكال حيوانية ونباتية عديدة على الكثير من صلاياتهم ، مثل النخل والزراف والأسود بالإضافة لمنـاظر حيوانـات خرافيـة تخيلوها بأجسام أسود أو فهود ورقاب الزراف أو الثعابين وأجنحة العقبان[٥٨] .

وعثر في مقابر أهل نقادة الثانية على عدد كبير من الأسلحة الظرانية والتي وصـلت إلـى ذروة رقيها في هذا العصر ، فوجدت سكاكين مموجة السطوح ذات طرف مقوس تشبه ورق الشجر في هيئتها ، كان يثبت بعضها في مقابض من العاج أو من الخشب ، وقد يصور على المقبض منظر مناسب ثم يغشى بالذهب . واستخدموا أيضاً رؤوس حراب من الظران ، بالإضافة لخناجر مـن النحاس . وصنعوا من الحجر رؤوس مقامع ذات أشكال كمثرية أشبه برؤوس المقامع التي كانت مستخدمة في مرمدة بني سلامة ، وقد طغت هذه الرؤوس على المقامع القرصية والمخروطية التي كانت مستخدمة في نقادة الأولى[٥٩] .

وصاحب الرقي الحضاري لأهل نقادة الثانية رقي مساكنهم ، فقد عثر في قبر بالمحاسـنة علـى نموذج لبيت من الطين وقد شكل على هيئة المستطيل نعرف منه أنه كان في الواقع لمسكن بنـي من قوالب الطوب اللبن يتوسط واجهته مدخل ضيق له كتفان وعتب علوي من الخشـب ، أسـفل العتب نافذة صغيرة ثبت أسفلها طبلة من الخشب كان يلف عليها حصير يقوم مقام الباب ، وتوسط الجزء العلوي لواجهة البيت الخلفية نافذتان صغيرتان .

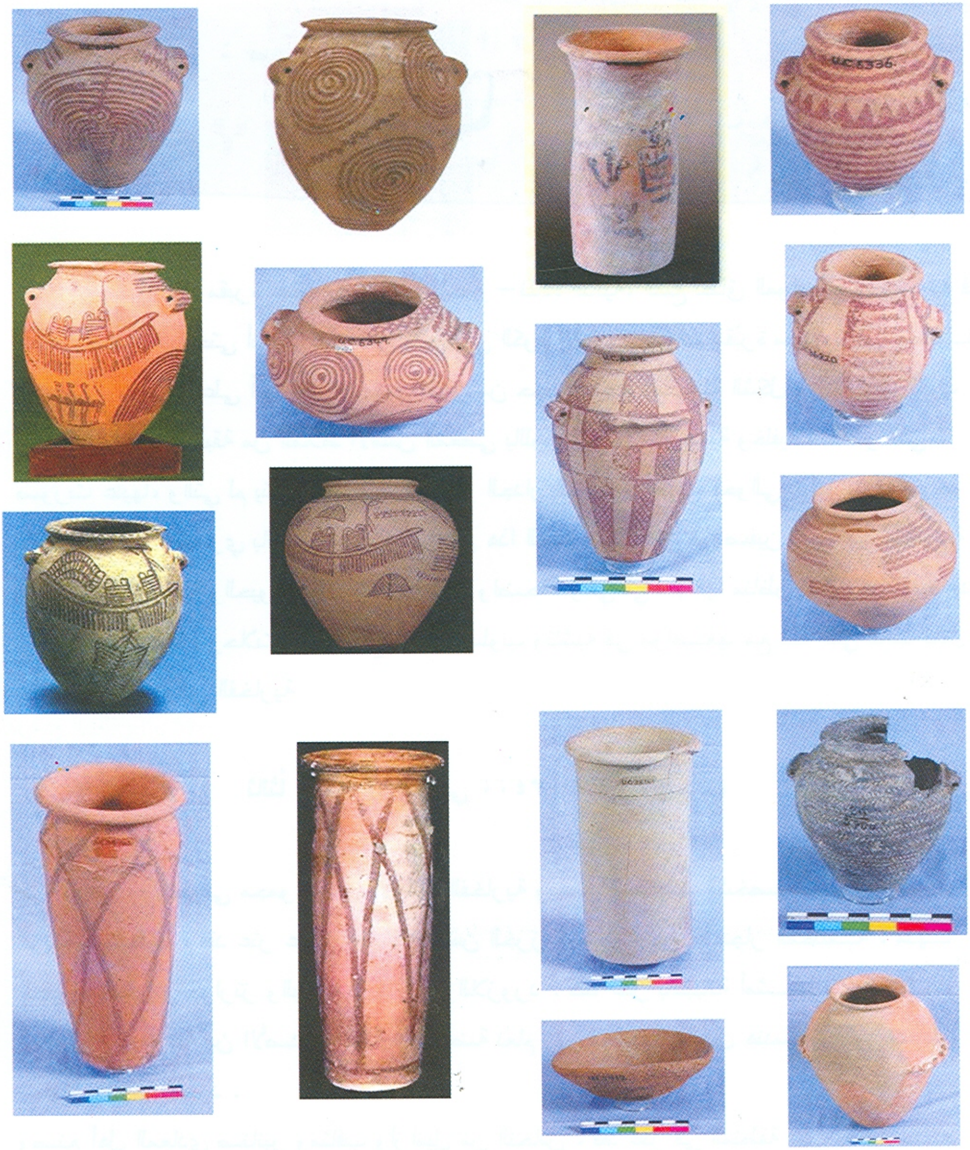
وبجانب المساكن التي شيدت من الطوب اللبن استمر النقاديون في تشيد مساكن بسيطة من البوص وفروع الشجر كالتي عرفت من قبل ، ولكنهم أضافوا إليها مساكن مربعة مرتفعـة ذات سـقوف مسطحة .

---

[٥٧] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

[٥٨] المرجع السابق ، ص ١٧٠ – ١٧٤ .

[٥٩] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ ، ١٦٩ .



شكل ٢٨ نماذج من فخار نقادة الثانية



شكل ٢٩ منظر من مقبرة عظيم من الكوم الأحمر –نقادة الثانية، اتسع نطاق المواضيع التصويرية في عصر نقادة الثانية حتى أنه قد عثر على مقبرة في الكوم الأحمر تعد أقدم مقبرة مصورة في الحضارة المصرية، وتعرف على أنها مقبرة لعظيم تتكون من حجرة واحدة مستطيلة الشكل من الطوب اللبن، وكسيت الجدران بطبقة من الملاط الأملس المغطى باللون الأصفر كأرضية وخلفية للمناظر التي صورت عليها، والتي لم يتبقى منها سوى مناظر الجدار الجنوبي الغربي (حوالي ١٩٠ سم)، وتوجد حالياً بالمتحف المصري بالقاهرة. وقد رسم على هذا الجدار ست سفن في صفين تحيط بها مجموعة من الأشكال الآدمية والحيوانية لا تجمعها علاقة واضحة، وهي في مجملها مناظر قتال ومناظر صيد ومناظر أسطورية ورحلات نهرية تتبع نفس الأسلوب وتتشبه في مواضيعها مع تلك التي كانت تمثل على جدران الأواني الفخارية

ثالثاً : المعادي (حوالي ٣٤٠٠ - ٣١٠٠ ق . م)

ودفن مع المتوفى مجموعة من الأواني الفخارية وبعض المقتنيات الشخصية له مثل أدوات الزينة كالعقود ، فقد عثر على أعداد كبيرة من الخرز المصنوع من الأحجار المختلفة ، منها العقيق الأحمر والكوارتز والبلور الصخري واللازورد . كما عثر بالجبانة أمشاط من عظام الحيوان ومجموعة من الأصداف المثقوبة وبيضة نعام زين سطحها بأشكال هندسية محفورة بإتقان وملونة باللون الأسود .

وصنع أهل المعادي صنانير ومثاقب وأزاميل من النحاس ، فقد عثر في المنطقة على بعض سبائك من النحاس ، وعثر أيضاً على فأس من النحاس بما يدل على مهارة أهل المعادي في استخدام النحاس[٦٠] .

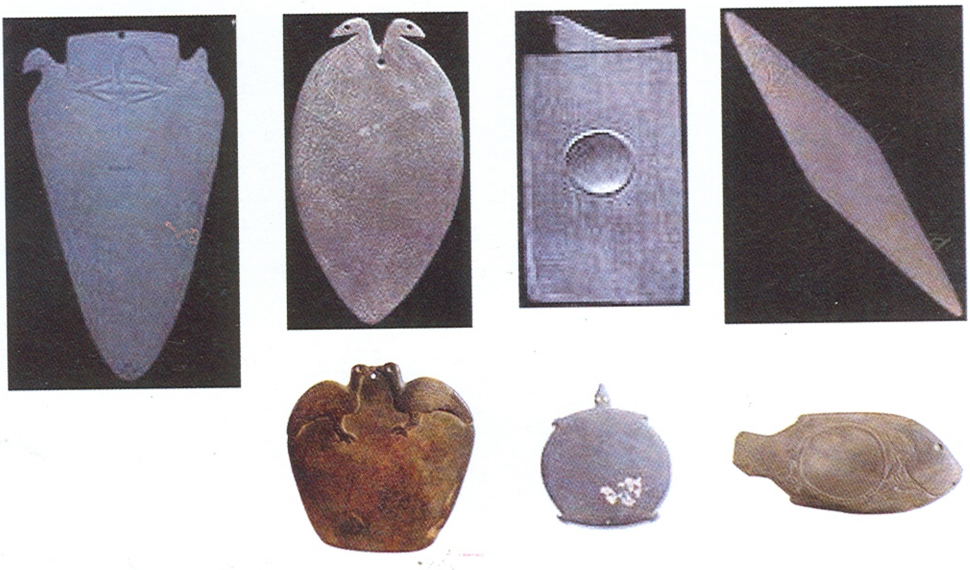
وصنع أهل المعادي الأواني الفخارية ، وشاع لديهم الفخار ذو اللون الواحد إما الأحمر الأملس أو الأسود المصقول . وصنعوا لبعضها مقابض ، وزخرفوا بعضها في أجزائها العليا بخدوش بسيطة

---

[٦٠] سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

وخطوط محفورة وأخرى بارزة . وزخرفت بعضها بخطوط عريضة وأخرى شبه هندسية وأقواس متصلة قلدوا بها هيئة الشباك ، وأيضاً رسوم مختصرة قلدوا بها هيئة الإنسان[٦١] . بالإضافة إلى الأواني الحجرية التي صنعت من أحجار مختلفة مثل البازلت والحجر الجيري والمرمر والجرانيت[٦٢] .

وفي جبانة المعادي عثر أيضاً على بقايا لدفنات حيوانية ، فقد عثر على عظام لكلب و ١٣ غزالة، يعتقد أن واحدة منهم على الأقل ذبحت كأضحية في طقسة دينية[٦٣] ، وربما دفنت هذه الحيوانات إما إعزازاً لها أو لتقديسها .



شكل ٣٠ نماذج من صلايات نقادة الأولى حتى الثالثة

---

[٦١] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

[٦٢] سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

[٦٣] Michael A. Hoffman, op. cit., 210.

الفصل الثالث

فن النقش في عصر الأسرة صفر

ويعتبر فن النقش في عصر ما قبيل الأسرات وحتى نهاية عصر الأسرة صفر من أهم المواد التي تساعد علماء الآثار لمعرفة الأحداث السياسية التي أدت إلى توحيد مصر في مملكة واحدة ، وبالتالي كان يجب عليهم الاستعانة بما دلت عليه نقوش الصلايات مثل صلاية صـيد الأسـود ، وصلاية الأسد والعقبان ، وصلاية الثور ، وصلاية الحصون والغنائم (ليبيا) ، ونقـوش مقـابض السكاكين مثل مقبض سكين جبل العركي، ومقبض سكين متحف المتروبوليتان ، ونقـوش رؤوس المقامع مثل مقمعة العقرب، وكلها من عصر ما قبيل الأسرات والأسرة صفر، ثـم تلهـا نقـوش مقمعة وصلاية نعرمر أول ملوك الأسرة الأولى .

نقوش مقمعة الملك العقرب

وهى من الحجر الجيري ، ذات شكل كمثري ، وترتفع حوالي ٣٢سم ، وقد عثر عليها في الكوم الأحمر ، وموجودة الآن بالمتحف الأشمولي بأكسفورد.
وبالرغم من تلف الكثير من نقوشها إلا أن المقمعة احتوت على ثلاثة صفوف من النقـوش. وقـد مثل بالصف الأول مجموعة من الألوية علق ببعضها طائر الزقزاق والذي يظن أنه كان يرمز إلي سكان الوجه البحري وعلق بالبعض الآخر القوس وكان يكنى به عن سكان الواحات والصـحاري المحيطة بمصر والشعوب والقبائل الأجنبية وتعني هذه النقوش انتصار الملك علي بعض سـكان مصر والقبائل المجاورة في سبيل توحيد البلاد ، وتلي ذلك صورة الملك في حجم كبير يعلو رأسه تاج الوجه القبلي ، ويرتدي رداء قصير له حمالة كتف واحدة ، ويمسك بكلتا يديه فأس يشق بـه الأرض عند حافة مجرى ماء ويقف أمامه رجل منحني يمسك بسلة ربما كانـت تحـوي بعـض البزور أو بعض من تراب الأرض وكأنه تمثيل الملك وهو يحتفل ببعض أعمال الزراعة أو الري بعد أن فرغ من انتصاراته . أما الصف الثالث فقد ظهر فيه جزيرة محاطة بنهر ويعمل فيها بعض المزارعين .
وقد استعان الفنان بالخطوط الأفقية يفصل بها صفاً عن صف ويقف عليها بعض الأشخاص وينمو فيها نبات البردي وفي صورة الملك يتمثل الطراز الذي ساد في تمثيـل الأشـخاص فـي الفـن المصري فقد مثلت العين والكتفان من أمام وسائر أجزاء الجسم من الجانب.

أما المرحلة الأخيرة التي دانت فيها البلاد لحاكم واحد ، هي المرحلة التي قام بها الملـك نعرمر / مينا . وسجل نعرمر انتصاراته على الشمال على آثاره ، وأهم هذه الآثار مقمعة الملـك

نعرمر وصلايته التذكارية ، التي عثر عليهما كويبل عام ١٨٩٤ في معبد حورس في الكوم الأحمر .



شكل ٣١ صلاية ساحة القتال وتعرف أيضاً بصلاية الأسد والعقبان، من الشست، ٣٢ سم عثر عليها في الكوم الأحمر وتؤرخ بعصر نقادة الثالثة حوالي ٣١٥٠ ق.م، وهي حالياً بالمتحف البريطاني، ويتوسط الصلاية أسد قوي يبقر بطن عدوه وهو يرمز للملك في ساحة القتال، وأسفل المنظر مجموعة من الأعداء الموتى والتي تأكل العقبان من لحمها، والأسد هو أغلب الظن أحد ملوك الأسرة صفر اللذين أخذوا على عاتقهم توحيد شطري مصر ، وهذه الصلاية ما هي إلا صلاية تذكارية تسجل أحد المراحل التي أدت في النهاية إلى هذه الوحدة
http://xoomer.alice.it/francescoraf/hesyra/palettes.htm



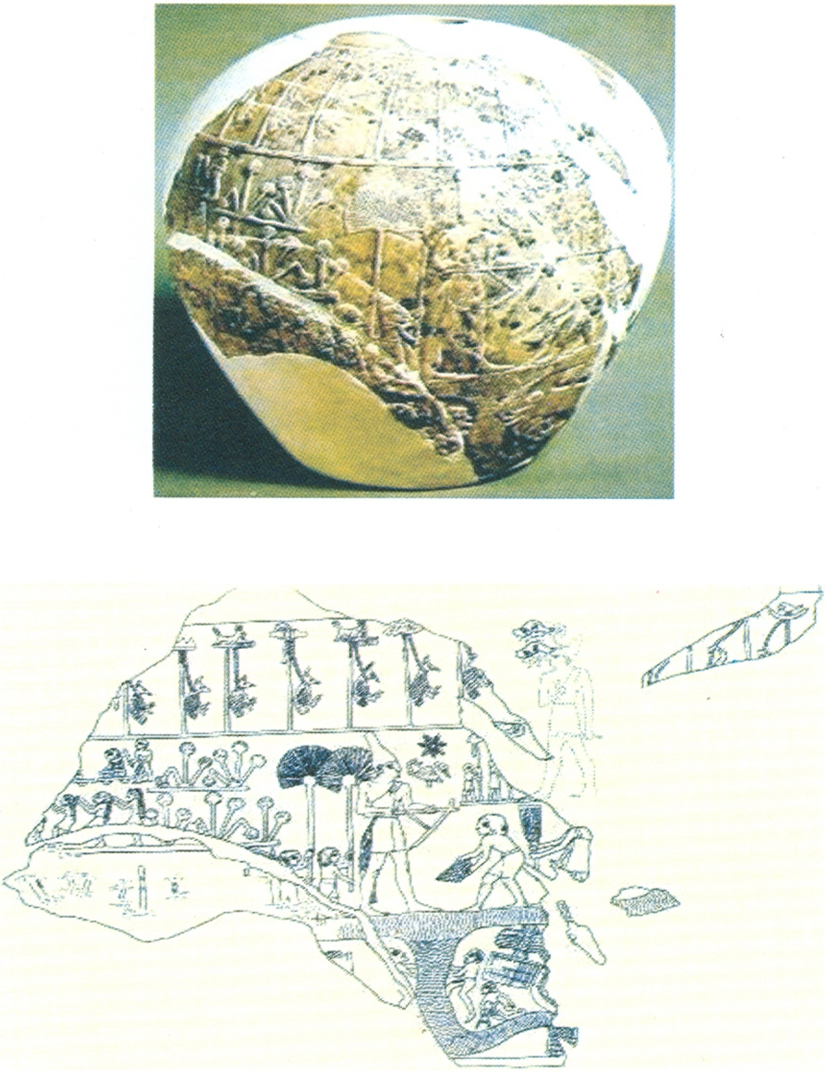
شكل ٣٢ صلاية صيد الأسود



شكل ٣٣ صلاية ليبيا



شكل٣٤ مقبض سكين جبل العركي، وقد صنع السكين من الظران والمقبض من عاج فرس النهر، طول المقبض ٩,٥ سم عثر عليه في جبل العركي بمحافظة قنا وتؤرخ بعصر نقادة الثالثة حوالي ٣١٥٠ ق.م، وهي حالياً بمتحف اللوفر، ونقش عليها من الجانبين، ويميز الجانب الأيمن منظر لرجل ملتحي يقبض برقبة أسدين لإخضاعهما وهو تأثير فن عراقي مما يشير إلى قدم العلاقات بين مصر وبلاد النهرين، أما الجانب الأخر مثل عليه منظر لمعركة بين فريقين مصري وليبي في أغلب الظن، وقد مثلت المعركة على صفين العلوي يمثل معركة برية والسفلي منظر مكمل لمعركة على سفح الماء، وتظهر هنا الغلبة للجانب المصري



شكل ٣٥ مقمعة الملك العقرب ورسم توضيحي لنقوشها

الفصل الرابع
فن النقش في العصر العتيق

نقوش مقمعة الملك نعرمر

وهى من الحجر الجيري ، ذات شكل كمثري ، وترتفع حوالي ١٩,٥سم ، وقد عثر عليها في الكوم الأحمر ، وموجودة الآن بالمتحف الأشمولي بأكسفورد.

ويظهر هنا الملك نعرمر جالساً متدثرا بعباءة طويلة يخرج منها يده اليمنى تمسك بالمذبة وعلى رأسه تاج الوجه البحري ، وله لحية صغيرة ، وهو يجلس فوق منصة عالية داخل مقصورة يؤدي إليها تسع درجات ومن فوق المقصورة نسرة ناشرة الجناحين تظل الملك بحمايتها وعلي جانب المنصة شخصان في حجم صغير يحملان مظلتين أو مروحتين لا يكاد يبلغ ارتفاعهما قدمي الملك ولا شك أن موضع الرجلين إنما هو عن يمين ويسار الملك بيد أن الفنان مثلهما بجانب المنصة لإظهار صورة الملك ، وخلف المقصورة الملكية صورت مجموعة من أتباع الملك في صفين يعلوهما الاسم الحوري للملك ، وأمام الملك يظهر ثلاثة صفوف من النقوش . يحتوي الأول منهم على أربعة من حملة الألوية الملكية . أما الصف الثاني فيظهر شخصية اختلفت الآراء في تحديدها وهي تجلس داخل محفة تواجه الملك ، ويرى خلفها ثلاثة رجال ملتحين وقد ضموا أيديهم إلى صدورهم ، وهم يجروا بخطى واسعة في ساحة حددت نهايتها بأسوار على هيئة أهلة .

وصور بالصف الثالث مجموعة من الثيران والماعز والأسرى ، كتبت أعدادها أسفل كل منها . وقد اختلف الرأي فيما تمثله هذه النقوش فمن الباحثين من رأى أنها تمثل حفلة زواج الملك بأميرة الوجه البحري توطيداً لسلطانه علي هذا القطر ومنهم من ذهب إلي أنها تسجل انتصار الملك علي الوجه البحري ومنهم من يعتقد أنها تمثل بعض حفلات (عيد السد) وهو عيد كان ملوك مصر يحتفلون به علي فترات مختلفة وتؤدى فيه طقوس معينة كان يظن أنها تعيد إليهم القوة والنشاط والقدرة علي تولي الحكم أمداً جديداً ومهما يكن من أمر فقد مثل الفنان الملك والشخص الجالس في المحفة من الجانب وأن كان قد رسم العين وظلة المحفة من أمام .

صلاية نعرمر

وهي من حجر الشست ، وقد عثر عليها بالكوم الأحمر ، وترتفع ٦٤ سم ، وموجودة حالياً بالمتحف المصري.

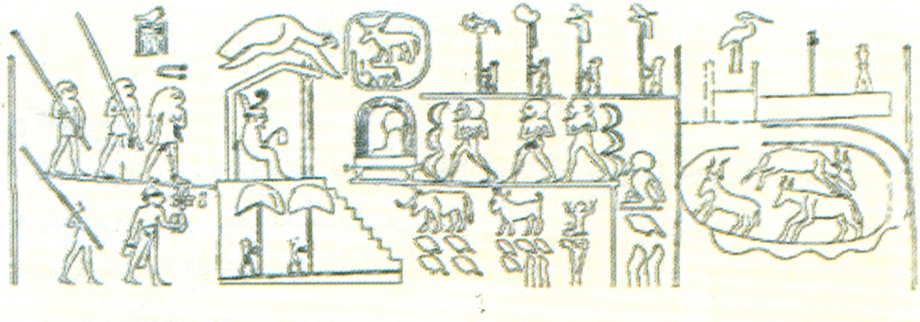
وتسجل مناظر هذه الصلاية نهاية الكفاح الذي انتهى بتوحيد البلاد . فعلى أحد جوانب الصلاية يظهر الملك بحجم كبير لابساً تاج الوجه القبلي وماسكاً بيده اليسرى بناصية شعر أسير راكع ،

وماسكاً بيمناه مقمعته يهوي بها على رأس أسيره الذي ربما يمثل حاكم الدلتا المهزوم ، وخلف الملك يقف خادمه بحجم صغير حاملاً حذاء الملك وإبريق ماء ، وأمام الملك تصوير لقطعة أرض يخرج منها نبات البردي تمثيلاً للدلتا ، ويخرج من حافتها الأمامية رأس رجل مخزوم من أنفه بحبل يقبض بطرفه صقر ممثل بحم كبير ويقف فوق نبات البردي الخارج من قطعة الأرض، والمنظر يعبر عن سيطرة الملك على الدلتا ، ومثل اسفل الصلاية على نفس الجانب منظر لرجلين من الأعداء اللذين في حالة هلع أو ربما قد قتلا وقد سجل بجوار رأس كل منهما إسم مدينته . أما الجانب الأخر فهو يصور موكب النصر الذي يخرج فيه الملك وهو يرتدي تاج الوجه البحري يتقدمه وزيره وأربعة من حاملي الرايات المقدسة ومن خلفه خادمه ، متجهين إلى معبد حورس ، حيث قطعت رؤوس الأسرى ووضعت بين أقدامهم ، ومثل أسفل هذا المنظر حيوانان خرافيان متعانقان وقد ربط كل منهما بحبل أمسك به رجل ، ربما دلالة على توحيد القطرين . ثم مثل الملك في الصف السفلي من هذا الجانب في هيئة ثور قوي يقتحم أسوار قلعة ويطأ بقدمه أحد أعدائه.

وهذه الصلاية بما تحويه من نقوش ذات دلالات تاريخية وحضارية وفنية لتعد من أشهر الأعمال الفنية في الحضارة المصرية .

يبدو من ذلك كله أن أكثر نقوش هذه الصلاية صور رمزية أو كتابة مصورة في وقت كانت الكتابة الهيروغليفية لا تزال في بداية تطورها . وما يلفت النظر في نقوش صلاية نعرمر هو تقسيم كل من صفحتيها إلي مناطق أو صفوف بخطوط عريضة تقف عليها الأشخاص والحيوانات ويبدو الشخص الرئيسي وهو الملك في حجم يفوق كثيراً حجم باقي الأفراد الذين مثلوا في أحجام مختلفة تتناسب ومراكزهم . وأغلب صور الأشخاص تمثلهم متجهين إلي اليمين بحيث تتقدم الساق اليسرى خطوة إلي الأمام وهي الساق البعيدة عن الناظر . وتبدو القدمان من الجانب الذي يظهر الإبهام . وفي نقوش هذه الصلاية ما يميزها عن نقوش الصلايات الأخرى وخاصة صلاية القتال وصلاية الثورة ففي نقوش صلاية ساحة القتال يتخذ الملك هيئة أسد يفتك بعدوه في ضراوة ووحشية وتبدو جثث القتلى في أوضاع غير طبيعية تنقرها الطيور الجارحة إمعاناً في تمثيل شدة التنكيل بالأعداء أما في صلاية نعرمر فيتمثل الملك في صورة إنسان مهيب لا تكاد تدل هيئته علي قوة أو عنف بل أنه ليتجلى في صورته هدوء الرجل المتزن الرصين كما تبدو في ذراعه التي يرفعها ليهوي بدبوس القتال علي ناصية عدوه رخاوة ولين وفي صلاية الثور بالغ الفنان في تمثيل قوة الثور الوحشية وإبراز شدة بطشه بعدوه كما مثل صورة الرجل المقهور في حالة عجز واستسلام بالغين فقد احتواه الثور بين ذراعيه ثم راح يمزق جسمه بقرنيه مما يجعل للصورة فكرة واحدة قوية أما في صورة الثور علي صلاية نعرمر فتكاد لا تبين فيها قوة الثور الوحشية وشدة بطشه بعدوه بل ليبدو وكأن عدوه علي وشك الهرب والإفلات وفضلاً عن ذلك فإنه يتجلى من تمثيل الثور يهدم بقرنيه سور المدينة ويطأ في نفس الوقت بأحد حوافره ذراع عدوه أن الفنان قد

قصد إلي التعبير عن فكرتين أو حادثتين معاً هما مهاجمة الملك حصون المدينة وأسر سكانها أو الهاربين منها .يلوح من هذا كله أن صلاية نعرمر تمثل غاية التطور في نقوش الصلايات وبداية روح جديدة تتفق وما يعرف عن المصريين في عصر الأسرات من مشاعر مهذبة راقية . بيد أنه لا يزال في بعض صورها وأشكالها ما يعقد الصلة بينها وبين نقوش ما قبل عهد الأسرات فصورة الملك نعرمر وأن تكن صورة ممتازة تمثل الملك في شكل جليل وقامة ممشوقة وكتفين قويتين قد اكتملت له فيها شدة العضل وقوة الشباب ألا أنها إذا قورنت بصورة الملك زوسر من بداية الأسرة الثالثة فأنها تبدو جافة ليس فيها من اتساق الفن المصري نصيب كبير إلي جانب ما فيها من غلو في تمثيل عضلات الساقين والركبتين وصورة الصقر علي الصفحة الأمامية تمثله مستكينا مكباً بوجهه علي نحو أفضل وإن كان لا يبدو فيها شامخاً متعالياً على غرار صوره فيما بعد ولصورة الحيوانين الخرافيين وصورة الثور الذي يهدم سور المدينة ما يشبههما فيما قبل الأسرات لهذا تجمع نقوش صلاية نعرمر بين بعض مظاهر فن النقش فيما قبل عهد الأسرات وبين ما بدأ يسود الفن المصري في عهد الأسرات مما يجعلها مثالاً قيماً لتطور فن النقش في مطلع هذا العهد.



شكل ٣٦ نقوش رأس مقمعة نعرمر



شكل ٣٧ صلاية نعرمر – من الجانبين

لوح الملك جت

بلغ فن النقش ذروة عالية من الكمال في هذا اللوح المصنوع من الحجر الجيري ، وقد عثر علية بابيدوس وموجود حالياً بمتحف اللوفر .

وتقتصر نقوش هذا اللوح علي اسم الملك فوق ما يعرف بواجهة القصر يشرف عليها الصقر وأنه لمما يفي هذه النقوش بعض حقها من التقدير استقصاء سر ما يتمثل فيها من جمال وروعة في شيء من تفصيل.

يحيط بنقوش هذا اللوح إطار عريض يزيد في بروزها وشدة حبكها وهو مقوس في أعلاه كما أن سطح اللوح محدب قليلاً تدور معه العين بما يخفف من حدة استوائه ويشغل الصقر ما يقرب من نصف المساحة المنقوشة مما يضاعف من أهميته ويزيد في إبراز صورته وهو يقف ناصباً رأسه وفي مخالبه قوة وفي صورته عظمة هادئة وجلال مطمئن كأن من أحداث العالم لن ينال منه مأرباً وقد وفق الفنان في التعبير عن ذلك كله في خطوط بسيطة تنطق عن مدي كفاءته وقدرته حتى أنه

ليست هناك صورة أخري للصقر تفوق صورته هذه نبلا وعظمة ومهابة وجلال وقد كانت صورته من قبل تمثله مكبا بوجهه بما يتفق وهيئته الطبيعية وهو واقف. لذلك يبدو أن صورته التي تمثله في استعلاء وكبرياء ليست إلا صيغة جليلة ابتدعها الفنان ليعبر بها في أفخم شكل وأروعه عن قداسة الصقر وألهيته من جهة وعن ارتفاع شأن الملكية المقدسة من جهة أخري فقد كان الصقر أحد الآلهة العظيمة كما كان الملك صورته علي الأرض.



شكل ٣٨ لوحة الملك جت

ويقف الصقر علي مستطيل طويل يوازي جانباه جانبي الإطار الخارجي وقد نقش في جزئه الأعلى اسم الملك بعلامة واحدة تمثل ثعبانا يتثنى جسده في خط جميل لس أبدع منه في كسر حدة المستطيل الكبير من حوله وهو يبدو بجسده المرقش بخطوط دقيقة كأنه أهل لأن تدب فيه الحياة ومن أسفل ذلك ما يعرف بواجبه القصر ذات الأبراج العالية والمشكاوات العديدة وبينها بابن مرتفعان وقد ذهب الظن إلي أن المستطيل المستعرض الذي يعلوها إنما يمثل فناء القصر رسم من

أعلى فإذا صح ذلك فأنه يدل علي أن الفنان كعادته في كثير من الأحيان قد جمع في الرسم الواحد بين وجهتي نظر مختلفين ومهما يكن من أمر ففي هذا المستطيل المستعرض ما يكسر من حـــدة طول المسطحات الرأسية المحيطة به كما أن في جمال الواحد بين وجهتي نظر مختلفتين ومهمـــا يكن من أمر ففي هذا المستطيل المستعرض ما يكسر من حدة طول المسطحات الرأسية المحيطـــة به كما أن في جمال تقوس أعلى الإطار الخارجي وفي الخطوط المقوسة والمائلة لكل من الصقر والثعبان ما يضعف كذلك من حدة تلك المسطحات وهو ما يرجع بعض ما تمتاز به نقـــوش هـــذا اللوح من جمال هادي متزن . وتبدو الأشكال المنقوشة في مقاسات مختلفة فصورة الصقر تمثلـــه في مقاس أكبر من مقاس كل من الثعبان وواجهة القصر بما لا يتفق وقواعـــد الرســـم المنظـــور ولكنها تؤلف معا صورة فنية جميلة أنشأها الفنان عن قصد فلو قد راعى النسب الصحيحة لشغلت واجهة القصر ببابيها وأبراجها الجزء الأكبر من المسطح المنقوش ولغدت صورة كل من الصـــقر والثعبان ضئيلة هزيلة لا تعبر عما كان للصقر واسم الملك من قداسة ومكانة ولفقـــدت النقـــوش روعتها وجمالها وضاع الغرض منها وهكذا ضحى الفنان عن عمد وقصـــد بالنســـب الطبيعيـــة الصحيحة في سبيل الإبانة عن أغراضه وتصوراته في وضوح وجلاء.

وتقع صورة الصقر في وسط الجزء الأعلى تقريباً علي أن ذيله أقرب إلي الحافة اليمنى من منقاره إلي الحافة اليسرى ومع ذلك فليس هناك مكان آخر لصورة الصقر علي هذا اللوح أمثل وأجمـــل من المكان الذي يشغله إذ لو انتقلت صورته إلي اليسار لأقترب معظم جسمه من الحافة اليســـرى وابتعد بذلك مركز الثقل في صورته عن المحور الرئيسي للمساحة المنقوشة بما يخل كثيراً مـــن تعادل المسطحين من خلفه وأمامه فيضيق المسطح الأمامي وهو أولي بالاتساع ويزداد في نفـــس الوقت اقتراب واجهة القصر إلي الحافة اليسرى مما يفسد إلي حد كبير جمال النسب بين السطوح المنقوشة والسطوح الخالية ولا يقع المستطيل الذي يمثل واجهة القصر وفناءه في الوسط تماماً مما أخل بتكافؤ المسطحين اللذين يقعان عن يمينه ويساره وقد يذهب الظن إلي أنه كان فـــي الإمكـــان تحاشي عدم تكافؤ هذين المسطحين بامتداد واجهة القصر إلي اليمين شيئاً ما بيد أنه في هذه الحالة كان لابد من أن يغطي ذيل الصقر أو الزاوية اليمني العليا للفناء أحدهما الآخر وهو ما كان الفنان يتحاشاه رغبة في وضوح جميع عناصر الصورة كما كان لابد أيضاً إذا ظل الصقر في موضـــعه من أن تختل الصلة بينه وبين واجهة القصر وقد كان الفنان حريصاً علي تمثيله بحيث يحتويها بين براثنه ومخالبه القوية كناية عن حماية للقصر والاسم المنقوش أو عن صاحب القصر يتضح مـــن هذا كله أن أدنى تغيير أو تبديل في نسب الأشكال وأوضاعها إنما يضعف من أثرها الفني كما أنه لا يفصح عن الأغراض التي كان يهدف إليها الفنان إن لم يفسدها وينقضها بيد أن هذا لا يعني أن هذه النقوش في مجموعها كانت نتيجة حساب دقيق ومحاولات مختلفة عانى الفنان فيها كثيراً حتى وفق إلي أمثل صيغة فنية تتفق ومشاعره وتصوراته إذ يغلب علي الظن أنه عمد علـــي تخطـــيط

صورة الرسم صورة الصقر وسط الجزء الأعلى من اللوح وذلك في حجم وبحيث يتعادل المسطحان من خلفه وأمامه لتبرز صورته أقوى ما تكون بما يتفق وما كان له في عقيدة المصريين من عقيدة وشأن ومن ثم حددت صورة الصقر موضع المستطيل الذي يقف عليه كما حددت اتساعه مما أدى إلي اقترابه بعض الشيء من الحافة اليسرى وبذلك تم للفنان في بساطة ويسر تخطيط أشكال هذا الأثر الجليل قبل نقشه علي أن هذه البساطة نفسها دليل علي أصالة الفنان ورهافة حسه وبراعته الممتازة إذ ليس أيسر من أن تختل النسب الفنية الدقيقة بين يدي فنان غير موهوب وهكذا تمتاز نقوش لوح الملك جت ببساطها واتزان خطوطها ووضوح أشكالها الفخمة وبما تنبض به من حيوية وما توحي به من جد شامخ ووقار مطمئن بما يسمو بها في مجموعها وتفاصيلها إلي ذري الفن الرفيع الخالد .

ألواح الأفراد

لا ترقي نقوش ألواح الأفراد إلي ذلك المستوى الفني الجليل وأهم ما عثر عليه منها في أبيدوس لوح سابف وهو يحمل ألقابه وصورته ومن خلفها اسمه في خط كبير ويبدو أن الفنان لم يكن قد انتهى بعد من نقشه ومن الألواح ما كان يصنع لبعض الأقزام مثلت عليها صورهم في خطوط سريعة تنبئ عن صفاتهم الجثمانية وفي حلوان عثر عل كثير من الألواح وكانت توضع في سقف غرفة الدفن وقد نقشت صفحتها بصورة الميت جالساً يمد يده إلي مائدة مثل فوقها ألوان مختلفة من الطعام والشراب .

وهكذا تدل الرسوم الهندسية والصور والنقوش من العصور الأولي في مصر علي طبيعة منشئيها وما ركب فيهم من ميل للتنظيم والتنسيق وجلبوا عليه من قوة ملاحظة ومهارة في تمثيل الأشكال في خطوط بسيطة واضحة تصور الخصائص الهامة في صدق كثير وإذا كان من الصور ما يتألف من مجموعات مختلفة في غير ترتيب ظاهر لا تجمعها معنا صلات واضحة أو وحدة تصويرية ذات موضوع واحد وأن منها ما لا يتأتى النظر إليه إلا النظر إليه إلا من وجهات نظر مختلفة فإن منها مع ذلك ما يمثل موضوعاً ذا معنى يتيح للعين أن تلم به بنظرة واحدة بما يتفق وحياة الحيوان في الصحراء .

ومهما يكن من أمر فقد طفق الفنان ينظم صوره في صفوف متتالية ترضي ذوقه وأغراضه وأن خالفت طبائع الأشياء وكان ما يصوره من ذلك يخلو مما يمثل الأرض حتى لتبدو الأشياء المصورة أو المنقوشة كأنها سابحة في فضاء غير محدد غير أنه لم يلبث أن أخذ يمثل بخط تقف أو تتحرك عليه شخوصه وقد أفاد هذا الخط الأشكال ثباتاً وقوة بأن ربط بينهما وبين مكان ما كما عقد الصلة بين شكل وآخر علي أنه قصرها علي مستوى واحد لا يعدو يمين كل شكل ويساره

وبذلك انتقى تمثيل العمق أو البعد الثالث في الصورة وما أوشكت عصور ما قبل الأسرات تـؤذن بإنهاء حتى عمد الفنان إلي تمثيل المناظر الكبيرة وتصوير الأحداث وتنسيق صورها في صفوف منتظمة متعاقبة تفصلها خطوط مستقيمة وقد أصبحت لهذه الخطوط صفتان فهي تمثل الأرض كما أنها تفصل بين صف وآخر من الصور . وتتميز أقدم الصور والنقوش بما يتجلى فيها من هـدوء علي أن نقوش أواخر ما قبل الأسرات تفور بالحياة القوية والحركة العنيفة في شيء مـن بـداوة وضراوة فالحيوانات الوديعة تفر مذعورة أمام الوحوش الضارية يلوي بعضها رأسـه إلـي وراء ملتفتاً في هلع وخوف إلي ما يتعقبه من وحش كاسر وضواري السباع وكـلاب الصـيد تهـاجم فرائسها في قوة وبأس وجثث القتلى تغطي ساحة القتال تنقرها الرخم والغربان والثـور يـبطش بعدوه في شدة وعنف حتى أن متحف اللوفر ظل فترة طويلة يعرض صلاية الثور بين آثار الشرق الأدنى ولولا أن نقوشها تتضمن بعض الرموز المصرية لما جرؤ أحد علي نسبتها إلي مصـر . ومع ذلك فما من ريب في أن هذه النقوش لا تصور ما يمكن أن تكون عين الفنان قد استقبلته من صور الطراد ومناظر القتال وإنما هي صورة رمزية أو كتابة مصورة عما تنبئ عما حفلت بـه تلك الأيام السحيقة من حروب داخلية في سبيل توحيد البلاد وتسجل ما أحرزه الزعيم أو الملك من انتصارات وفي ذلك مجال كبير للمغالاة ومجاوزة الحق والواقع تشهد به صورة الزعيم في هيئـة الأسد أو الثور كناية عن قوته وسلطانه كما تشهد به الأشكال الرمزية وصور من عـالم الواقـع المحسوس إلي عالم المعاني والأفكار وقد درج الفنان علي رسم كل شكل مستقلاً عن غيره لكي لا يخفي بعضه بعضا عن أنه عمد في حالات قليلة إلي رسم الأشكال يتداخل بعضها مع بعض فـي شكل زخرفي أو لتبيان الصلة بينهما وتشهد أعماله علي أنه أجراها في سهولة ويسر وثقـة مـن قدرته وكفاءته كما تدل علي ما كان له من خبرة كبيرة في تنسيق الصور في مساحات ضئيلة غير مناسبة تتوسطها بؤرة مدورة تعين مكان صحن الأصباغ علي الصلايات أو يتوسطها نتوء مثقوب يعلق منه السكين ومن أعماله ما يدل علي براعة في تمثيل مفردات متكررة متماثلة إلي حد بعيـد وكانت صور الأشخاص تمثلهم في بداية الأمر في اقتضاب شديد الرأس أشبه ببقعة من اللـون لا تكاد تبين معالمها وتفاصيلها والجسم أشبه بمثلث قاعدته خط الكتفين ومع ذلك فأن هـذه الصـور أقرب إلي الطبيعة من صور بابل وأشور وإيران التي هي أشبه بعناصر زخرفية محورية يصعب ما تصور تمييز وفي أواخر ما قبل الأسرات وبداية الأسرات استكملت صور الأشخاص في الفن مظهرها مظهرها الذي ظلت تتخذه في عهد الأسرات وتمت لها القواعد التي لازمتها طوال تاريخ مصر القديم .

الفصل الخامس
فن النحت في عصر ما قبل الأسرات
والعصر العتيق في مصر

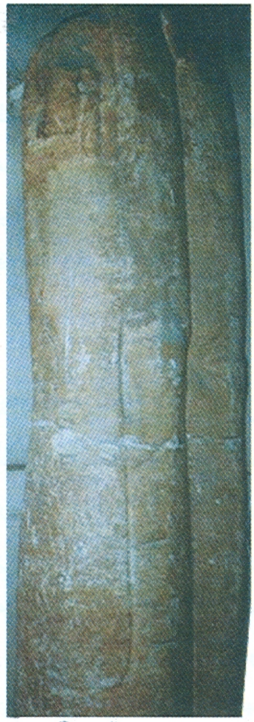
التماثيل من الحجر :

ومنذ أواخر ما قبل الأسرات بدأ المثال يصنع التماثيل الصغيرة من الحجر وأهمها تمثالان أحدها من اللازورد يمثل امرأة عارية تضع يديها تحت صدرها وكانت العينان منها من مادة مختلفة والتمثال الثاني من حجر أسود قاتم لرجل ذي لحية طويلة ورأس تكاد تستقر علي كتفيه وعينين كبيرتين وقد مثل واقفاً يحيط بواسطة حزام يتدلي منه قراب العورة وفي رشاقة قامته وحسن استدارة الكتفين وجمال انحدارهما وبساطة أشكال الجسم وجودة صقل الحجر وما يدل علي كفاءة المثال وشعوره بجمال المادة التي صنع منها تمثاله.

ولم يلبث المثال أن صنع التماثيل الكبيرة من الحجر ومن ذلك ثلاثة تماثيل من حجر الجير للمعبود مين اله الإخصاب وهي أشبه بأساطين من الحجر لا تبين فيها أشكال الجسم بوضوح وتمثله عارياً إلا من حزام يتدلى منه هداية نقشت عليها صور حيوانات ومحار في دقة بارعة ومن تماثيل الأشخاص من الحجر ما يمثل صاحبه في حجم طبيعي تقريباً راكعاً علي قدمه اليسرى يحيط برأسه شعر غزير مفروق ووجهه مدور ممتلئ وأجود ما تبقى منها جميعاً رأس صغيرة جميلة من حجر الجير بشعر مستعار ذي خصل قصيرة ووجه غير ممتلئ وعينين كانتا مرصعتين ومن قطع النحت أيضاً نجران من حجر صلد قاتم نحت في هيئة أسير مقيد الذراعين من وراء ظهره وقد عولجت ملامح وجهه من تفصيل .

وفي أواخر الأسرة الثانية بلغ المثال في نحت التماثيل من الحجر شأوا بعيداً يدل عليه تمثالان للملك (خع سخم) أحدهما من حجر الأردواز ينقصه الجزء الأيمن من الرأس والثاني من حجر الجير الأبيض ولم يبق منه غير رأسه والجزء الأسفل من الجسم وهما يمثلانه بتاج الصعيد جالساً علي مقعد بسيط ذي مسند للظهر قصير مرتدياً رداء طويل لا يبين من جسمه فيه غير يديه وقدميه وفي اليد اليمنى ثقب يشير إلي أنه كان مثبتاً فيها نموذج صغير لصولجان أو دبوس قتال. وقد أجاد المثال تمثيل اليدين والقدمين والجسم في خطوطه العامة حتى لتبين ألوانه من وراء الرداء السميك علي أن براعته إنما تتجلى في تمثيل ملامح الوجه وخاصة الفم والجفنين وبكل كسرة ضعيفة ولعل أهم ما يفصح عن كفاءته وقدرته إجادة تمثيل صفحة الخد حتى أنها لتشف عما تحتها من عظام ومع ذلك يبدو الوجه غض ، في محياه جد وحزم وهدوء واطمئنان وقد نقشت علي

جوانب قاعدة كل من التماثيل رسوم خطت بخطوط حرة طليقة وهي تمثل القتلى من الأعداء بأجسام ملتوية في أوضاع غير طبيعية لها ما يشبهها في نقوش الصلايات.



شكل ٣٩ تمثال من الحجر الجيري لمين



شكل ٤٠ تمثال ملكي من العاج

التماثيل العاجية :

ازدهرت في أواخر ما قبل الأسرات وبداية عهد الأسرات صناعة التماثيل من العاج وبلغت شأوا رفيعا من الدقة والكمال وإن كانت رطوبة الأرض وأملاحها قد أضرا كثيراً بما كشف عنه منها وصدع بعضه ما تشعب فيه من جذور الحلفاء علي أن من تماثيل النساء ما لا يزال يمثلهن بقامات رشيقة ووجوه مشرقة وقسمات جميلة وأحياناً بشعر طويل متموج مثل في دقة بارعة ومن تماثيلهن كذلك ما يمثل امرأة اتشحت بأزرار حابك حول جسدها يقيها شر البرد، ومن أجل ما تبقي من تماثيل الرجال رأس بلحية طويلة كانت العينان منها والحاجبان مرصعة وتل الجمجمة والأنف علي براعة فائقة وقدرة ممتازة في تمثيل ملامح الإنسان.

وفي معبد أوزيريس في أبيدوس عثر علي تمثال لملك بتاج الوجه القبلي ورداء مطرز مثلت ملامح وجهه بعناية بيد أن رأسه تميل قليلاً إلي الأمام وقد ظن في بداية الأمر أنه إنما يمثل ملكاً عجوزاً ولكن ثبت بعد تنظيفه أنه يمثل صاحبه يعدو مؤديا بعض مناسك عيد السد مما أدي إلي تمثيل الرأس منحنية إلي الأمام.

ومما حفظ من تماثيل النساء ما يمثل امرأة تحمل طفلها علي خاصرتها أو بين يديها أو علي كتفها وهي تدل علي قدرة المثال آن ذاك علي تمثيل الصلات بين الأشخاص في المجموعة الواحدة ومن قطع العاج المنحوتة نموذج صغير لزورق يجلس فيه رجل وقطعتان تمثل كل منهما أسيراً بذراعين مقيدين مقوس علي نحو ما يشاهد في بعض آثار توت عنخ أمون من عهد الأسرة الثامنة عشر .

تماثيل من مواد أخرى :

ومن التماثيل ما كان يصنع من القيشاني الأزرق الضارب إلي الخضرة أو الخشب أو الأبنوس أو النحاس المطروق ولم يحفظ منها سوى أمثلة أو بقايا صغيرة . كما تسجل حوليات الملك خع سخموي أحد ملوك الأسرة الثانية صنع تمثال له من النحاس وفي ذلك ما يشير إلي أهمية هذا التمثال وأنه لابد أن كان في حجم كبير ومن نقوش الملك دن أحد ملوك الأسرة الأولي ما يدل علي أن من التماثيل ما كان يصنع كذلك من الذهب وأنه صنعت له ثلاثة تماثيل منه يمثله أحدها بتاج الوجه القبلي وفي يديه العصا ودبوس القتال ويمثله الثاني وهو يصطاد فرس النهر بينما يمثله التمثال الثالث وهو يصارع هذا الحيوان الضخم .



شكل ٤١ تمثال الملك خع سخم بالمتحف المصري

الفصل السادس
العمارة في عصر ما قبل الأسرات
والعصر العتيق في مصر

كانت أول المقابر التي عثر عليها منذ العصر الحجري الحديث عبارة عن حفرة بسيطة شبه بيضاوية أحياناً ودائرية أحياناً أخرى ، وفي عصر ما قبل وما قبيل الأسرات حلت المقابر الكبيرة المستطيلة التي كسيت جدرانها بالطوب اللبن محل الحفر الرملية الصغيرة البسيطة وكانت هذه الزيادة ضرورية نتيجة لزيادة متاع المتوفى الذي يصاحبه وخاصة الأواني المتعددة الأشكال والأحجام.

وعرفت المعادي جبانة خاصة لموتاهم بعيداً عن مساكنهم حوالي ١ كم جنوب شرق المنطقة السكنية ، وكانت المقبرة عبارة عن حفرة بسيطة يتراوح عمقها بين ٢٠ و ٩٠ سم ، وكان المتوفى يأخذ وضع القرفصاء إلا بعض الأمثلة وجد فيها المتوفى ممدداً، ولا يوجد هناك اتجاه ثابت للرأس إلا أن أغلبها اتجه نحو الجنوب ، أما الوجه فهو أحياناً للشرق وأحياناً أخرى للغرب، كما وجدت حالات اتجه فيها نحو الجنوب أو الشمال[٦٤] .كما عثر على دفنات لبعض الأجنة داخل البيوت وكانت تدفن إما في حفر عميقة وإما في قدور من الفخار .

ومع بداية الأسرات كانت مقابر الملوك والأشراف تتكون في بداية الأمر من مجموعة حجرات شيدت من اللبن داخل حفرة كبيرة مستطيلة لا يزيد عمقها عن ٤ أمتار أسفل سطح الأرض وسقفت بألواح خشبية ، والحجرة الوسطى هي أكبر هذه الحجرات وكانت قد خصصت للدفن ، وكانت تبطن أحياناً بألواح من الخشب ، أما الحجرات الصغيرة الجانبية فكانت مخصصة للأثاث الجنزي ، ثم كانت تملأ بالرديم ويقام فوقها بناء مرتفع مستطيل بني من اللبن أيضاً وهو المبنى الذي أصطلح على تسميته بالمصطبة .

ولم تلبث المقبرة الملكية أن أخذت تزداد اتساعاً ويزداد سمك جدرانها تبرز منها جدران ساندة شكلت على هيئة الدخلات والخرجات . ولم يكن للقبر الملكي في بداية الأمر مدخل خاص ولكن ما لبث أن صار له درج يؤدي إليه من الشمال مما ساعد في زيادة عمقه وقد رصفت أرض قبر الملك دن بحجر الجرانيت وفي نهاية الأسرة الأولي بلغت مساحة القبر الملكي في أبيدوس أكثر من عشرة أمثال مساحة أقدم قبر ملكي فيها وكانت قبور رجال الحاشية والأتباع في أخاديد طويلة مسورة باللبن ومقسمة إلي قبور صغيرة حول القبر الملكي وكان الغرض منه أن يظل أصحابها

---

[٦٤] سيد توفيق ، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية ، دار النهضة العربية ١٩٩٠ ، ص ٢٥ – ٢٦ .

في العالم الأخر أقرب ما يكونون للملك يقومون بوظائفهم وأعمالهم له علي نحو ما كانوا في الحياة الدنيا.

وقد إندثر ما كان يعلو المقابر الملكية في أبيدوس من بناء مما أدى إلى تعدد أراء الباحثين في تخيل الشكل الذي كانت علية هذه المقابر ، وأغلب الظن أنه كان علي شكل مصطبة كبيرة من اللبن سطحها مقبي يحيط بها سور . ومن أهم ما تبقى من مقابر أبيدوس ألواح طويلة من حجر جيري أو حجر صلد تعرف بنصب أبيدوس ، وهي مقوسة في أعلاها عرضاً وسمكاً ومنقوش علي كل منها بخط كبير اسم الملك من داخل مستطيل فوق ما يعرف بواجهة القصر تعلوه صور الصقر حورس أو في حالة واحدة حيوان الإله ست في لوح الملك "بر إيب سن" وظهورها خشنة دائماً غير مهذبة ومن القبور ما عثر له علي لوحين مماثلين ولذلك يظن أنه كان لكل قبر ملكي لوحان من هذا القبيل وأهم ما حفظ منها جميعاً لوح الملك جت وهو الآن أحد ذخائر متحف اللوفر ويبلغ إرتفاعه مترين ونصف تقريباً وتمتاز نقوشه ببساطتها واتزان خطوطها ووضوح أشكالها وما تنبض به من حيوية وما توحي به من جد شامخ ووقار مطمئن.

وربما كانت نصب أبيدوس تقوم مقام الأبواب الوهمية وأنها كانت تثبت في واجهات المصاطب من اللبن التي كانت تعلو المقابر الملكية لترشد الروح إلي قبر صاحبها عند زيارته ولتعين المكان الذي كان يجب تقديم القربان وأداء الطقوس الجنائزية أمامه شأنها في ذلك شأن الأبواب الوهمية التي سادت منذ الدولة القديمة في العمارة الحجرية ويزكي هذا ازدواج استدارة أعلاه عرضاً وسمكاً وعدم تهذيب ظهرها وقلة مساحة السطح الأسفل وضآلة ارتفاع الجزء الذي كان يثبت في الأرض في بعض الأحيان مما لا يسمح بالظن بأنها كانت تستقل بنفسها قائمة علي الأرض أو مثبتة فيها ولعل أيضاً في تمثيل بابين بين ثلاثة أبراج فيما يعرف بواجهة القصر علي هذه الألواح ما كان يكني عن حقيقتها والغرض منها.

وفي شمال شرق سقارة كشف عن كثير من المقابر الملكية من عهد الأسرة الأولي وهي أكبر وأفخم كثيرا من المقابر الملكية في أبيدوس ولذلك يظن أن قبور أبيدوس قبور تذكارية كانت تحوي أثاثاً جنازيا لأصحابها لتكون مزارا لأرواحهم في جبانة آبائهم في حرم المعبود "خنت امنتي" سيد أهل الغرب وغرف الدفن في المقابر الملكية في سقارة أكثر عمقاً واتساعا منها في مقابر أبيدوس وبعضها منحوت في الصخر لقربها من سطح الأرض مما أكسب العمال مهارة في حفر الصخر منذ وقت مبكر ومن هذه المقابر ما يشتمل علي سبع غرف في صف واحد أكبرها عرفة الدفن في الوسط ومن غرف الدفن ما كانت جدرانها تدعم بالخشب وتحلى دعائم الجدران فيها بشرائط من الذهب ومنها ما كان يلصق بجدرانه حصير ملون دقيق الصنع أو تثبت فيها قراميد من القاشاني تمثل الحصير كما أن منها ما غطيت أرضيتها بألواح رفيعة من الخشب ومنذ أواسط الأسرة

الأولي كانت المقابر الملكية في سقارة تزود علي نحو مقابر أبيدوس بدرج يؤدي إلي غرفة الدفن وكان يسد في معظم القبور بمتاريس غليظة من الحجر علي مسافات مختلفة حمايـة لمحتويـات غرفة الدفن من أن يعبث بها اللصوص وتعلو كل مقبرة مصطبة ضخمة من اللبن تتخلل سطوحها الخارجية مشكاوات عديدة ويغشيها ملاط من طين ثم طلاء أبيض تحليه رسوم هندسـية بـألوان مختلفة بما يحاكي الحصير ومن المصاطب ما يحيط بها سور أو سوران أحدهما من داخل الآخر ومنها ما لها إطار طيني من حولها صفت عليه رءوس ثيران من صلصال مثبتة فيها قرون حقيقية بلغ عددها في إحدى الحالات ما يقرب من ثلاثة مائة رأس . ومنها ما يبدو أنه كان يـزرع مـن حولها بعض الشجر ومنها ما تحتوي في داخلها علي عدد كبير من المخازن وقد وجـد بعضـها سليماً لم تمتد إليه يد اللصوص وفيه عدد كبير من الآلات والأسلحة واللعب والأواني من المرمر والشست والصخر البلوري والنحاس ومن المصاطب ما كشف في داخلها عن مبنى مـدرج فـي ثلاثة جوانب منه ويبلغ متوسط ارتفاع كل درجة نحو ربع متر ومنه مـا وجـدت فـي شـمالها مجموعة من المباني بسطوح مقبية تمثل في حجم صغير المخازن أو الشون فيما يظن ومنها كذلك ما كشف بجوارها عن بناء باللبن في الأرض في شكل زورق كبير كان يحتوي علي قارب لرحلة الملك في الآخرة وفي شمال المصطبة التي تنسب للملك قاي عا آخر ملوك الأسرة الأولي ومـن داخل سورها الخارجي أمكن الكشف عن معبد جنائزي من اللبن يحتوي علي دهاليز وغرف عديدة وهو بموقعه في شمال المقبرة وبنظام قاعدته ودهاليزه يشبه المعبد الجنازي فـي شـمال الهـرم المدرج ويمكن أن يكون أصلا له وهكذا يتمثل في الأسرة الأولي كثير من تقاليد الدولـة القديمـة وفي الشرق من هرم اوناس في سقارة كشف عن قبرين ملكيين ينسبان لأوائـل الأسـرة الثانيـة ويتألف كل منهما من عدة قاعات محفورة في الصخر علي جانبي دهليز طويل .

وكنموذج للمقبرة الملكية في تلك الفترة سنقوم بدراسة مقبرتي الملك حور عحا ثاني ملوك الأسرة الأولى بسقارة وأبيدوس ، ومقبرة الملك خع سخموي آخر ملوك الأسرة الثانية في أبيدوس .

مقبرة حور عحا بسقارة :

وتعرف بالمقبرة رقم ٣٣٥٧ ، وتتكون بطبيعة الحال من جزئين ، الأول يتكون من خمس حجرات حفرت في صف واحد أسفل سطح الأرض وكانت قد سـقفت بـألواح مـن الخشـب ، خصصت الحجرة الوسطى منهم للدفن أما الحجرات الأخرى فكانت لحفظ الأثاث الجنزي . أمـا الجزء الثاني فقد شكل على شكل مصطبة من الطوب اللبن تعلو سطح الأرض قد تهدم أعلاهـا ، وقد حوت بداخلها ٢٧ حجرة خصصت أغلب الظن لتخزين الأواني العديدة التي كان يحتاج إليهـا المتوفى في العلم الأخر بما كانت تحويه من مشرب ومأكل . وقد شكل هذا الجزء العلوي بحيـث تميل أضلاعه الأربعة الخارجية للداخل كلما أرتفعت لأعلى كمـا زينـت جوانبهـا بالـدخلات

والخرجات ، فحوى الجانب الطويل على ٩ دخلات ، والجانب القصير على ٣ دخلات . ويحيط بالمقبرة سوران من اللبن ، وبلغ طول المقبرة ٤٨,٢ م من الشمال إلى الجنوب ، وعرضها ٢٢م ومن الشرق إلى الغرب . كما وجد في الجانب الشمالي من المقبرة على بعض المباني النموذجية وحفرة كبيرة من اللبن كان يوضع فيها مركب جنزية كانت مصنوعة من الخشب تدفن مع الملك لتصاحبه في العلم الأخر .

مقبرة حور عحا بأبيدوس :

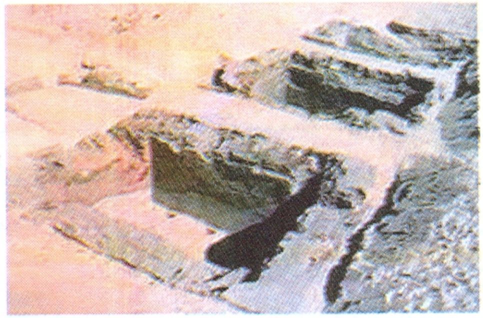
وهي من أكبر مقابر أبيدوس وخاصة في مجموعة المقابر التي عثر عليها بالمنطقة الشمالية الغربية ، وتعرف برقم B19 ، وهي تتكون من حفرة كبيرة تمثل حجرة الدفن ، وقد بطنت جوانبها باللبن ، وقد عثر في أرضيتها على ٦ حفرات صغيرة مستديرة ربما كانت لتثبيت قوائم خشبية لحمل السقف .

أما الجزء العلوي فقد تهدم ، وكان أغلب الظن عبارة عن بناء مستطيل من الطوب اللبن شبه المصطبة ، وكان قد أقيم حول جدرانه الخارجية جدران أخرى من اللبن للحماية . وبلغ طول المقبرة ١١,٧ م من الشرق إلى الغرب ، و ٩,٤ م من الشمال إلى الجنوب .

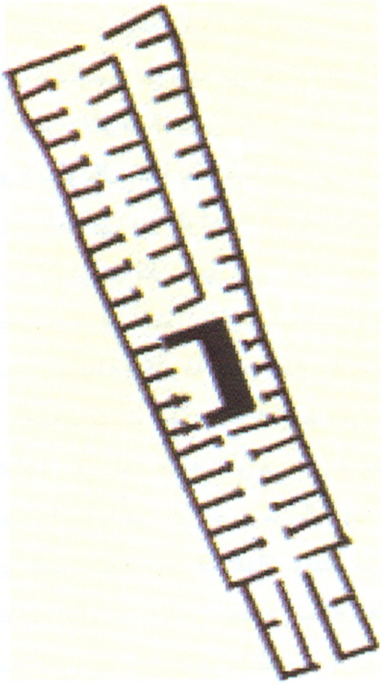
ولم تحتوي هذه المقبرة ولا غيرها من مقابر العصر العتيق بأبيدوس على الدخلات والخرجات التي كانت تمثل في مقابر سقارة .

مقبرة خع سخموي بأبيدوس:

وتعرف لدى الآثريين بالحرف V ، وهي تحتوي علي أكثر من خمسين حجرة صغيرة في صفوف متتالية تتوسطها جميعاً غرفة الدفن كسيت جدرانها بأحجار صغيرة . وتنقسم المقبرة من ثلاثة أقسام ، ويبدأ القسم الأول بالمدخل الذي يؤدي إلى ثلاثة صفوف تضم ٣٣ حجرة موزعة بالتساوي ، ثم نصل إلى حجرة الدفن وقد شيدت من الحجر وقد حف بها أربع حجرات من كل جانب ، ثم يلي ذلك عشر حجرات خمسة على كل جانب ، لنصل في النهاية إلى المدخل الجنوبي الذي يحيط به أربع حجرات اثنين على كل جانب . وقد استخدمت كل هذه الحجرات أغلب الظن لحفظ الأثاث الجنزي للملك ، وقد عثر بالفعل على البعض من هذا الأثاث مثل بعض الأواني الحجرية والفخارية والنحاسية ، وكذلك بعض الأدوات الحجرية والنحاسية ، بالإضافة إلى صولجان الملك المصنوع من حجر السارد الأحمر والذهب . وقد بلغ طول هذا الجزء السفلي ٦٨,٩٧ م من الشمال إلى الجنوب ، وعرضه ١٧,٦٠ م من الشرق إلى الغرب عند الجانب الشمالي للمقبرة ، و ١٠,٤٠ في النهاية الجنوبية . أما الجزء العلوي للمقبرة فقد تهدم تماماً .



شكل ٤٢ بعض مقابر أبيدوس من الأسرة صفر



شكل ٤٣ مسقط أفقي لمقبرة خع سخموي بأبيدوس

وفي إقليم منف كانت مقابر عظماء الأفراد من الأسرة الأولى حفرا مكشوفة منحوتة في الصخر وكانت تسقف بالخشب أو الحجر ويسد مدخلها بمتاريس من حجر الجير وتعلوها مصاطب تحلي سطوحها الخارجية مشكاوات علي نحو المصاطب الملكية أو تحلى طرفي واجهتها المطلة علي الوادي مشكاتان اثنتان وفي الأسرة الثانية كان من المشكاوات ما يعلوه لوح من حجر الجير نقشت عليه صورة صاحب المقبرة جالسا أمام مائدة الطعام ومن المقابر ما كانت غرفة الدفن فيها وما يتصل بها من غرف تنحت بأكملها في الصخر بحيث تكون سقوفها من الصخر الطبيعي وفي المقابر الكبيرة يتألف الجزء المحفور في الصخر من دهليز طويل يكتنفه عدد كبير من الغرف قد تبلغ في بعض الأحيان ثماني عشرة غرفة كان يودع فيها ما كان يودع في المخازن من داخل

المصطبة .وكان مدخل القبر يسد بمتاريس من حجر ضخم كما كان الدهليز يسد بمتاريس مماثلة علي مسافات مختلفة ومع ذلك لم تفد هذه المتاريس في حماية ما كان يودع مع الميت من أثاث إذ اخترق اللصوص طريقهم من حولها إلي ما كان يغريهم الحصول عليه.

ومن مقابر الأفراد التابعين ما كان يبنى حول مقبرة سيدهم في أخدود طويل مقسم إلى قبور صغيرة يعلو كل منها بناء مستطيل من اللبن يملأ برمل وحصى ودبش وسطحه مقبي وبالقرب من الطرف الجنوبي من الواجهة الشرقية مشكاه صغيرة ، ومن المقابر الصغيرة في طرخان من الأسرة الأولي ما كان القبر فيها حفرة بيضوية أو مستديرة أو مستطيلة الشكل يحيط بها فوق سطح الأرض جدار منخفض مملوء بالحصى والرمل وعند أحد طرفي واجهته الشرقية أو الغربية مقصورة بسيطة مكشوفة وفي جدار المصطبة من داخل المقصورة فتحتان في اتجاه غرفة الدفن وفي الصعيد كانت قبور الأفراد تحفر في الأرض ومنها ما كانت جدرانه تكسى باللبن وله غرفة أو غرفتان في أحد طرفيه أو في كل منهما للأثاث الجنائزي ، وذلك عدا غرفة الدفن وكانت أكبر الغرف وأعمقها في الأرض ومن الغرف ما كان يسقف بقبو مدرج من اللبن مما يدل على أن مبادئ القبو كانت معروفة آنذاك ويبدو من ذلك كله أن المصريين لم يستخدموا الحجر في البناء في بداية الأسرات إلا في حدود ضيقة للغاية على أن مقابر بداية الأسرات على اختلافها دليل واضح على بزوغ مجتمع منظم منذ أواخر ما قبل الأسرات كان الركيزة لما تلاه في عصر الأسرات .

مراجع مختارة لآثار ما قبل التاريخ

- أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، الهيئة المصرية العمة للتأليف والنشر ١٩٧٠ .
- حسن الباشا ، الفنون البدائية، القاهرة ١٩٧٩.
- رشيد الناضوري ، دراسات مقارنة في حضارات مصر وغربي آسيا من عصور مـا قبـل وقبيل الأسرات حتى بداية النصف الثاني من الألف الأول ق.م ، الاسكندرية ١٩٥٦.
- رمضان السيد، تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول، هيئة الآثار المصرية – مشـروع المائـة كتاب ١٦.
- سيد توفيق ، تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم مصر والعـراق ، دار النهضـة العربيـة ١٩٨٧.
- سيد توفيق ، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية ، دار النهضة العربية ١٩٩٠ .
- سليم حسن ، مصر القديمة، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠.
- عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة ١٩٨٠.
- علي رضوان، الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات في مصـر، جامعـة القاهرة ١٩٩٠/١٩٩١.
- مصطفى عامر، حضارات عصر ما قبل التاريخ، في: تاريخ الحضارة المصـرية ، الجـزء الأول العصر الفرعوني، دار النهضة العربية (بدون تاريخ)، ص ٣٧-٤٣.
- ممدوح الدماطي، مدخل إلى علم الآثار، القاهرة ٢٠٠٧.
- و. ب. إمري ، مصر في العصر العتيق ، ترجمة راشد محمد نـوير ، دار نهضـة مصـر ١٩٦٧.
- بياتريكس ميدان رينيس، عصور ما قبل التاريخ في مصر من المصريين الأوائل إلى الفراعنة الأوائل، ترجمة ماهر جويجاتي، القاهرة – دار الفكر ٢٠٠١

- Barbara Adams, Predynastic Egypt, Shire Egyptology 1988

- F. A. Badawi, Die Grabung der ägyptischen Altertümerverwaltung in Merimde-Banisalame im Oktober/Noember 1976, in: MDAIK 34, 1987.

- G. Bosinski G., Die Kunst der Eiszeit in Deutschland und in der Schweitz. Katalogue vor und frühgeschichtlicher Altertümer, Band 20, Bonn 1982.

- Guy Brunton, Qau and Badari I-III, BSAE 44, 45, 50, 1927, 1928, 1930.

- Guy Brunton and Gertrude Caton-Thompson, The Badarian Civilisation and Predynastic Remains Near Badari, BASE 46, 1928.

- Guy Brunton, Mostagedda and the Tasian Culture, BMF, London 1937.

- Gregory Curtis, The Cave Painters: Probing the Mysteries of the World's First Artists. New York: Alfred A. Knopf, 2006.

- H. Delporte, L'image de la femme dans l'Art Préhistorique, Paris 1979.

- I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, New York 1980.

- J. Eiwanger, Erste Vorbricht über die Wiederaufnahme der Grabungen in der neolithischen Siedlung Merimde-Banisalame, in: MDAIK 34, 1978.

- J. Eiwanger, Dritter Vorbricht über die Wiederaufnahme der Grabungen in der neolithischen Siedlung Merimde-Banisalame; mit einem Beitrag von F. A. Badwi, in: MDAIK 36, 1980;

- J. Eiwanger, Merimde- Banisalame I. Die Funde der Urschicht; und II. Die Funde der mittleren Merimdekultur, Mainz, 1984, 1988.

- J. Eiwanger, Merimde-Bani-Salame, in: LÄ 4, 94-96.

- G. A. Gaballa, Narrative in Egyptian art, Mainz 1976.

- S. Gabra, Fouilles du Service des Antiquités á Dier Tasa, in: ASAE 30 (1930).

- R. Dale Guthrie, The Nature of Prehistoric Art. Chicago: University of Chicago Press, 2006.

- Michael A. Hoffman, Egypt before the Pharaohs, New York 1984.

- P. Honoré, Das Buch der Altsteinzeit, Düsseldorf . Wien 1967.

- H. Junker, Vorläufiger Bericht über die Grabung der Akademie der Wissenschaften in Wien auf der Vorgeschichtlichen Siedlung Merimde-Bani-Salame, 1-7, Wien 1929-1940.

- David Lambert, The Cambridge field guide to Prehistoric Life, Cambridge 1985.

- M. Lorblanchet et A.C. Welte, Les figurations féminines stylisées du Magdalénien Supérieur du Quercy - Actes du LXIIe Congrès d'Etudes Régionales, Société des Etudes du Lot, TCVIII (1987), pp 3-58.

- William Mathew Fliders Petrie and James Edward Quibell, Naqada and Ballas, ERA 1, 1896.

- J. Vandier, Manuel d'archéologie Égyptienne, I, Paris 1952.

- Walther Wolf, Die Kunst Ägyptens, Stuttgart 1957.